

2 me Année, No. 47.

Lundi-28-5-1934

بدل الاشتراك عن سنة

صـ

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

تليفون رقم | ٤٢٣٩٠ | ٤٠٥٣٠

العـــدد ٤٧ « القاهرة في يوم الاثنين ١٥ صفر سنة ١٣٥٣ — ٢٨ مايو سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

الامتيازات والأدب !

الأدب عبير الروح ، وشعاع النفس ، ونضح العواطف . يتأثر حتما بما ينال أولئك من تطور الحياة ، وتغير الناس ، وتقلب الزمن ؛ فهو يطيب أو يخبث ، ويضطرم أو يخبو ، ويمر أو يحلو ، تبعاً لما يعرض للروح والنفس والعاطفة من أحوال الضعف أو القوة ، والفساد أو الصلاح ، والانحطاط أو السمو .

فالأدب العربي كان صادقاً حين فاض بالبطولة ، وزخر بالحماسة ، وجاش بالعزة ، في عهوده الأولى أيام كان يمده العرب من قوتهم بالروح ، ومن سلطانهم بالنبل ، ومن حريتهم بالكرامة .

والأدب العربي كان صادقاً حين لج في الضراعة ، وضج بالشكوى ، وأن من الألم ، وتحدث عن فسوق الخلق المنحل ، وإمعان القلب المستذل ، وضلال النفس المريضة في مذاهب القحة ، في عهوده الأخيرة أيام وهنت عزائم الملوك ، ووهت دعائم الملك ، وتخلت يد العرب عن زمام الدنيا ، فوقعت الفوضى ، وحدث الخلل ؛ ولجأ الناس بعضهم الى الله وراء شيوخ الطرق ، وبعضهم الى الشيطان وراء قطاع الطريق !

فهرس العـــدد

والأدب العربي صادق اليوم في الابانة عن هذا الشك المخامر في قدرتنا على التفكير الأصيل ، واضطلاعنا بالأمر الجليـــل ، واستقلالنا بتبعات الرأى وتكاليف الحياة . فان اعتقادنا الايحائى المزمن بتفوق الأوربى وامتيازه سلب من نفوسنا الثقة ، ومن قلوبنا الايمان ، ومن عقولنا الاصالة ، ومن شعورنا السمو ، وتركنا كالعبد المملوك لا يقدر على شىء وهو كَلٌّ على مولاه ، ينقل فيما يقول عن لسانه ، ويصدر فيما يعتقد عن قلبه .

فأديبنا يجهل اللغة العربية كل الجهل ، ويعلم اللغة الأوربية كل العلم ، لأنه إذا تكلم بها أو كتب فيها شعر بذلك الامتياز الذى يلازم أهلها فى بلاد الشرق . وأديبنا يقرأ الأدب الأجنبى ويغفل الأدب العربى ، لأن هذا أدب قوم كانوا يلبسون العمائم ، ويأكلون بالأيدى ، ويجلسون على الوسائد ، ويقولون له نحن أجدادك ! وذلك أدب قوم يلبسون البرانيط ، ويأكلون بالشوك ، ويجلسون على الكراسى ، ويقولون له نحن أسيادك .

وأديبنا يعمى عن مناظر بلده ، ومحاسن طبيعته ، ومفاخر قومه ، ومآثر شرقه ، ثم يفتح عينيه بكلتا يديه ليستشف من خلال السطور السود قناطر (السين) وشعاف (الالب) وخمائل (التيرول) لأن هذه ذكرها جوته ولامرتين وبيرون ، وتلك إنما ذكرها البحترى والرضى وشوقى !

زارنى ذات يوم شاعر من شعراء الشباب ، وفى يده قصيدة يريد نشرها بالرسالة ، وكان موضوع القصيدة كما يقول : تصوير منظر قروى فى ريف مصر : مشرق الشمس فى القرية أو مغربها لا أذكر . فلما نظرت الى الصورة — وأنا قروى — أنكرت ما رَسم فيها من الخطوط ، ووضع بها من الألوان ، وحشد اليها من الطبيعة . فقلت له : يغلب على شعورى أنك ترجمت . فقال وهو يعقد من التيه عنقه : ثق أنها من وحى خاطرى وفيض لسانى . فقلت له : إذن ما هذه النواقيس التى ترن فى الأبراج ؟ أفى قريتكم كنيسة ؟ فقال كلا ، وانما آثرت رنين الناقوس على أذان المؤذن ، لأنى أجد للأجراس والأبراج من الروعة والشاعرية ما لا أجده للمأذنة والمسجد . فألطفت للفتى فى الاعتراض والاعتذار مخافة أن يرميني فى سره بالجمود والتأخر !

كذلك قدم إلىّ كاتب من ناشئة الكتاب قصة مصرية ، سمى أشخاصها : جان ، وألبير ، ولورا ، وهيلين . لأنه يجد هذه الأسماء فى الحوار والحديث أرق وأعذب من على ، واسماعيل ، وسعاد ، وفاطمة !

فالأدب المصرى الحديث ، كالمجتمع المصرى الحديث ، يقوم على موت الشخصية ، وفناء الذات ، ونسيان التاريخ ، ونكران الأصل ، فهو يستلهم المطابع الأوربية ، ويخضع قريحته للقرائح الأوربية ، ويعقد لسانه بالألسن الموهوبة منها ، فيحكى ما تقول فى لثغة نكراء من أثر العقدة ، وهو لو وضع عن كاهله نير الامتياز ،وفهم هذه الكلمة المخزية على المجاز ، فأخذ عن طبعه وترجم عن طبيعته ، لفجأ الغرب بأدب قدسى الالهام ، سحرى الأنغام ، شرقى الروح ، مصرى الطابع ، يحل أهله من أدب العالم ما أحل أدبُ الهند اقبالا وطاغور !

إن الطبيعة المصرية أولى أن تلهم الشاعر تأمل الصحراء ، وأحلام النخيل ، وابتسام الصحو ، لا أن تلهمه ما تلهم الطبيعة الانجليزية من أمثال (الملاح التائه) ، و(الزورق الحالم) ، و(وراء الغمام) ! فان الفن لا يخضع خضوع العلم للعقل المشترك والوطن العام ، وانما يخضع قبل كل شىء لطبائع الاقليم ، وخصائص البيئة ، ومنازع الشخص ، فاذا استنزل شعراؤنا الشبابُ على خواطرهم هذا الوحى الغريب ، فذلك أثر ما نشكوه من هذه العبودية العقلية التى ضربت على الآذان ، وغلبت على الأذهان ، وجعلتنا للأجانب فى كل شىء تبعا .

فمتى يعلم المصرى أن له مجداً يجب أن يعود ، ووطناً ينبغى أن يسود ، وصوتاً يحق أن يسمع ، وأدباً يصح أن يحتذى ، وتاريخاً يليق أن ينشر ، وحقا على أرضه تؤيده الطبيعة ويقره القانون ولا ينكره عليه إلا جبنه وذله ؟ !

احمد حسن الزيات

انصاف المترجم

للدكتور محمد عوض محمد

أتى على المترجم حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً . وقد طال هذا الحين وامتد ، حتى كدنا نظن أن ليس لليله المدلهم من آخر . وإن من الناس لمن يظن أن المترجم ذو مكان تافه يسير ، وأن سيبقى مكانه مدى الدهر تافهاً يسيراً .

ولقد طالما أصغى المترجم الى هذه الاشارات والعبارات ، التى تنزله من عالم الأدب والكتابة أصغر المنازل . فيلقاها حيناً بالامتعاض ، وحيناً بالاستسلام ؛ وقد بات فى حيرة من أمر نفسه ، فجعل يدعو نفسه أحياناً المترجم ، وأحياناً المعرب ، لعل فى هذا ما يحسن من شأنه ومن حاله ؛ ثم يتواضع أحياناً فيكتفى بأن يقول : نقله عن الفرنسية . . . فلان ، ويوصى الطابعين بأن يكتبوا اسمه بحروف صغيرة ضئيلة . . . وليس هذا كله بمغن عنه شيئاً ، فليس الزهو بنافعه ، ولا التواضع بمانعه .

وبالرغم من أن حاله باعثة حقاً على الرثاء ، مثيرة حقاً للدموع والبكاء ، ؛ فانا قلما نجد له بين الورى منصفاً . كأنما أجمع الناس على ظلمه واضطهاده . وما كفاه السهر الطويل المضنى ، والانكباب على البحث والتنقيب عن الألفاظ والعبارات ، واجهاده الفكر فى فهم مالا يفهم . وانقاذ مالا يمكن انقاذه ؛ حتى اذا ما أتيح له بعد لأى وعناء ، أن يخرج مترجمه الى عالم الكتب ، جعل يتقدم به الى القراء ، فى حياء وتردد ؛ كأنما ارتكب وزراً يريد أن يعتذر منه ؛ ويسبق الناقدين الى النقد فيقول لكل من يراه — بل ولكثير ممن لا يراه — إن الترجمة تشويه على كل حال ! . . وهو يريد بهذا أن يستل سخيمة الناقدين ، وأن ينتزع حمة العقرب أو على الأقل يهدئ من ثورتها . وشأنه فى ذلك كشأن الطبيب الذى يطعمنا للجدرى ، فيعطينا المرض فى شكل صغير لكى يدرأ عنا الخطر الكبير . .

لكن هذه الحيلة لا تجديه نفعا ؛ وهذا الاعتراف ليس بمنجيه من العذاب . فلا يلبث الناقدون أن يتناولوا المترجم بالتأنيب والتجريح ، وترجمته بالتنكيل والتعذيب ؛ ويعطرونه النقد المرير أينما ذهب ، وحيثما نزل ؛ فى مجالس الأدب وفى غير مجالس الأدب ؛ وفى الصحف السيارة وغير السيارة ؛ ومن النقد ما يلقى اليه مشافهة ، ومنه ما يلقى اليه كتابة .

هذا يتهمه بعدم الأمانة لأنه تصرف فى اللفظ من أجل الحرص على المعنى : فالويل له كيف يتصرف فى اللفظ وهو أثمن شىء فى الوجود ! والآخر ينعته بالجمود وبالتمسك بالحرف وبالحرص على اللفظ ، حتى جاءت ترجمته فى حاجة الى ترجمة : لا هى عربية فتفهم ، ولا أعجمية فتتفهم . ويقول الثالث : أجل وإن المترجم لذو شخصية ضعيفة ضئيلة ، حتى لقد غمرته شخصية المؤلف وطغت عليه ومحته محواً تاماً . فقارىء الترجمة لا يجد فيها سوى روح المؤلف ، أما المترجم فلا روح له ! ويقول رابعهم مداعباً : إن هذه الترجمة والأصل كالزنجية الشوهاء وخيالها فى الزفت ! ويقول الخامس : ما كان أغنى قراء العربية عن ترجمة مثل هذا الكتاب ، فياله من مجهود ضائع ! ويقول السادس وهو يتكلف الظرف : إن هذه الترجمة لكتاب (هملت) من الابداع بحيث يجب أن تترجم مرة أخرى الى الانكليزية ! ليرى شكسبير كيف يجب أن يكتب (هملت) !

ثم من بعد هذا كله فما هو فى نظر الجميع سوى مترجم ! رجل أعوزته المقدرة على الابتكار ، فانصرف الى النقل ! فهل يكون لمثل هذا فى عالم الأدب أو العلم مكان ؟ وأين هو من زيد وعمرو وبكر الذين ألفوا وصنفوا مجلدات فتحت فى العلم أبواباً وطرقاً وشوارع ؟ حتى إن منهم لمن يبيع لتلاميذه الملزمة الواحدة بعدة دراهم !

***

ينصت المترجم المسكين لكل هذا وهو مطرق الرأس مغمض الطرف ، وقد أخذ الندم يأكل قلبه وكبده ورئتيه . وهو على هذا يعلم أنه ليس شراً من أولئك المؤلفين ، وأنه لو شاء أن يسلك السبيل التى سار فيها زيد أو بكر لما كان من الصعب عليه أن يجمع الفصول من بعض الأسفار ؛ ثم يسىء وضعها وترتيبها ، ويعرضها على أنها من مؤلفاته القيمة ، ومن بنات أفكاره ودلائل

إعجازه . ولكنه آثر أن يسلك سبيلاً غير ذى عوج ، وأن يعمل فى وضح النهار . فى زمان ساد فيه الالتواء والظلماء .

لا شك أن المترجم المسكين مهيض الجناح ، مهضوم الحق ، وقد بلغ من هوان أمره على بعض الناشرين أنهم ربما نشروا الكتاب ، ولم يعنوا حتى بذكر اسم المترجم !

ومع ذلك فلقد يلقى المترجم من حين الى حين منصفاً يكون بمثابة جزيرة من الأمل وسط هذا البحر الفسيح من القنوط ! ومن أحسن ما يذكر فى إنصاف المترجم ما قاله الأستاذ طه حسين فى مقدمة الترجمة العربية لكتاب هرمن ودروتيه . وقد جاء فى كلامه العبارة الآتية :

« إن الذين يترجمون آيات الأدب والفن والفلسفة ينسون أنفسهم ، ويمحون شخصياتهم ، ويقنعون بمكان المترجم ، الذى ليس هو بالقارىء المستريح ، ولا المنتج النابغة ، لكنه صلة بين الرجلين : لاحظ له من راحة الأول ، ولاحظ له من مجد الثانى ، وإنما هو خادم مخلص أمين ؛ يرفع القارىء الى حيث يذوق جمال الفن وجلاله ، وحيث يشق لآثار النابهين من الأدباء والفلاسفة طرقا جديدة . . . هذه منزلة المترجم يراها الناس يسيرة ، وأراها عظيمة جليلة الخطر . وحسبك أنها هى التى تحقق الصلة القوية بين الأجيال والشعوب . فتزيل ما بينهم من الفروق وتدنى بعضهم الى بعض » .

هكذا أنصف الأستاذ طه حسين المترجم ؛ وردّ اليه شيئاً من حقه المضيع . ويحق للمترجمين أن يغتبطوا بأن قد صدر لصالحهم فى هذا الأسبوع حكم آخر من ناحية لم يكونوا يتوقعون منها كل هذا العطف . وألذ النعماء ما جاءك من حيث لا تحتسب . ذلك أن القضاء المصرى قد قضى فى هذا الأسبوع — ولا راد لما قضى — بحكم لعله أكبر غنم يستطيع المترجم أن يظفر به . وها نحن أولاء نثبت هذا الحكم ها هنا بنصه وفصه :

« ان ما يلاقيه المترجم من صعوبة وعناء النقل من لغة الى لغة ، واصلاح فى عباراتها يستلزم كداً وعلماً معاً ؛ حتى لقد يفضل المترجم أن يكون صاحب تأليف ، أو أن يصرف وقته فى التأليف بدلاً أن يصرفه فى الترجمة والنقل ، لأنه فى التأليف مطلق ، ما يريد من المعانى ، ويضيف ما يريد من الألفاظ ، ويقدم ويؤخر ، ويحذف ويثبت على حسب ما يرى . أما فى الترجمة فنجده مقيداً بما ينقل من نظام وترتيب ، واثبات وتقييد . ولا بد له من أن يدرك المعنى إدراكاً واضحاً ، يلبسه زيه من الألفاظ والجمل فى اللغة التى ينقل اليها ، كما يكون أميناً فى نقله ، صادقاً فى ترجمته . ولا يكون أهلاً لذلك إلا إذا ملك ناصية اللغتين ، وعرف فيهما الشارد والوارد ، وأدرك دقائق كل منهما : من معان خفية ، وأسرار فى التراكيب . وأن تكون نفسه قد مرنت على هذه الصناعة ، ووقف على أسرارها ، واتخذ له طريقة واضحة فيها . وإن كثيراً ما تزل أقلام المترجم الأمين ، الذى يريد أن ينقل من قلب الشاعر كما يقولون ، فناهيك بما يلاقى من تعب وكد فى معرفة غرض الكاتب ، فيلتجىء الى معاجم اللغة ؛ يقلب صفحاتها ويرجع الى عبارات كبار الكتاب وأساليبهم ، لعله يصل الى معرفة مثل هذا التعبير ، أو ما يقرب منه ، أو يعثر على شرح له فى كتب الأدب . ولقد يقطع المترجم أياماً فى البحث عن كلمة واحدة !... وإن هناك فى الترجمة عقبات منشؤها خفاء المعنى ، أو غرابة اللفظ ، تظهر فى بلاغة الكاتب . وتمكنه من امتلاك نواصى الأساليب ، بعبارة يسهل إدراك معناها ، ولكن يصعب على المترجم نقلها ووضعها فى قالب آخر ... » (١)

ذلك هو الحكم القاطع الذى صدر فى إحدى القضايا منذ بضعة أيام ، وان صدوره هو الذى حملنا على كتابة هذا المقال ! ولعل مثل هذا الحكم هو أعظم حادث فى عالم الأدب — على الأقل فى عامنا هذا — فليغتبط المترجمون ، فان لهم من هذا الحكم سيفاً بتاراً يقطعون به رأس الجحود والنكران . وليحذر الذين يضعون من مرتبة المترجم بعد اليوم — فليس حكم القضاء بالشىء الذى يجوز معه العبث أو المراوغة ؛ فليبادروا بالتوبة وبالتكفير عن سيئاتهم الأولى ، ويعترفوا صاغرين بما للمترجم من المنزلة العالية والمقام الرفيع .

وأنتم معشر المترجمين ، هلموا اليوم فشمروا عن ساعد الترجمة وأقبلوا عليها إقبال من يعرف مالها من جليل الخطر ، وما عليكم من رسالة تؤدونها فى أمانة وإخلاص جديرين بذلكم الحكم الباهر . .

محمد عوض محمد

(١) راجع الأهرام فى ٢٤ مايو سنة ١٩٣٤

ســـــبيل الخلاص
من الامتيازات الأجنبية

للدكتور عبد الرزاق أحمد السنهورى
أستاذ القانون المدنى بكلية الحقوق

تتمـــة البحث

الخطوة الثالثة

تتصل الحكومة المصرية فى هذه الخطوة بالحكومة الانجليزية لتتفاهم معها على الأسس الآتية :

(أولاً) تنفيذ إلغاء المحاكم المختلطة بعد انقضاء السنة من نشر المرسوم

(ثانياً) إعلان من جانب الحكومة المصرية وحدها بالغاء الامتيازات

(ثالثاً) إحلال نظم جديدة محل النظم التى تلغى ، وتصدر هذه النظم بتشريعات مصرية داخلية لا بمعاهدات دولية

(رابعاً) إعلان من جانب الحكومة الانجليزية ، باعتبارها دولة من الدول ذوات الامتيازات ، وباعتبارها حليفة مصر إذا كانت المحالفة قد عقدت بين البلدين ، بتأييد الحكومة المصرية فيما تتخذه من التدابير.

ولا شك فى أن الدول ذوات الامتيازات ، إذا حسبت حساباً لاحتمال تفاهم مصر مع انجلترا على هذه الأسس ، تكون أسلس قياداً فى مفاوضاتها مع الحكومة المصرية أثناء الخطوة الثانية ، وقد يؤدى ذلك الى نجاح المفاوضات .

أما إذا لم تنجح ، وكان لا بد من اتخاذ الخطوة الثالثة ، فان النظم الجديدة التى تحل محل النظم الحالية تكون بوجه عام هى النظم التى اقترحت مصر على الدول إدخالها بموجب معاهدة فى الخطوة الثانية مع الفروق الآتية :

(أولاً) تقام هذه النظم الجديدة بمقتضى تشريعات مصرية داخلية ، وبعد تبادل مذكرات مع الحكومة الانجليزية فى مسائل معينة .

(ثانياً) فيما يتعلق بالتشريع : تعلن مصر الدول أن كل تشريع مصرى ، مالى أو غير مالى ، يسرى على الأجانب سريانه على المصريين ، وأن السلطات المصرية من هيئات قضائية وإدارية ، ستقوم كل فى دائرة اختصاصها بتطبيق وتنفيذ التشريعات المصرية على الأجانب كما تطبقها وتنفذها على المصريين . وتعلن الحكومة المصرية فى الوقت ذاته أنها لا تنوى سن تشريعات تتنافى مع المبادىء العامة التى يقرها العالم المتمدين فى التشريع ، وأنها تقبل رفع الأمر الى محكمة لاهاى فى كل تشريع تنفذه على أجنبى كان متمتعاً بالامتيازات إذا أنكرت دولته أن هذا التشريع لا يتنافى مع المبادىء المذكورة وطلبت رفع الأمر الى هذه المحكمة .

(ثالثاً) فيما يتعلق بالقضاء : تستصدر الحكومة المصرية تشريعات داخليـــة لاقامة محاكم يكون اختصاصها هو نفس الاختصاص الذى جعلناه للمحاكم الجديدة فيما تقدم . أما تشكيلها فيراعى فيه أن يكون ثلثا القضاة من المصريين ، والثلث الباقى من الانجليز ، وأن يكون رئيس كل محكمة مصرياً والوكيل انجليزياً ، وأن يكون رئيس كل دائرة مصرياً ، ولغة التقاضى هى العربية ، عدا الدائرة التى يجلس فيها الوكيل فانه يرأسها وتكون لغتها هى الفرنسية ، وتحال اليها القضايا التى يكون فيها الخصوم جميعهم من الأجانب . وتتبادل الحكومتان المصرية والانجليزية مذكرات بهذا المعنى ، لا يكون من شأنها أن تغل يد الحكومة المصرية عن تعديل أو إلغاء التشريعات الصادرة بانشاء هذه المحاكم متى رأت ضرورة لذلك .

ونحن نؤثر هذا الحل على حل آخر يقضى بجعل المحاكم الأهلية هى المختصة بقضايا الأجانب ، لأن ذلك يقتضى أن يدخل قضاة من الانجليز فى المحاكم الأهلية ، ونحن لم نصل الى تمصير هذه المحاكم تمصيراً تاماً ، وجعلها مقصورة على القضاة المصريين إلا بعد جهد وعناء ، فالأولى إذن ابقاء العنصر الأجنبى بعيداً عن المحاكم الأهلية حتى تسلم لها مصريتها الكاملة . ونقيم لقضايا الأجانب محاكم أخرى يدخل فيها العنصر الأجنبى . ولا يغيب عن البال أن هذه المحاكم الأخرى رهن بمشيئة مصر ، فهى قد أنشئت بتشريع مصرى يمكن تعديله أو الغاؤه فى الظرف المناسب .

(رابعاً) فيما يتعلق بالادارة : تستصدر الحكومة المصرية تشريعاً داخلياً كذلك بما كانت تنوى الاتفاق عليه مع الدول بمعاهدة ، ويكون العنصر الأجنبى فى رجال الضبطية القضائية من الانجليز والنائب العام انجليزياً . وتتبادل الحكومة المصرية مع الحكومة

الانجليزية مذكرات بهذا المعنى ، مع احتفاظ الحكومة المصرية بحقها فى تعديل هذا التشريع أو إلغائه إذا دعت الحال لذلك .

هذه هى الخطوة الثالثة . وبديهى أنه لا يقدر لها نجاح الا اذا وصلت مصر الى الاتفاق مع انجلترا على الأسس المتقدمة . فاذا ماوصلت الى هذا الاتفاق استطاعت أن تواجه الدول ذوات الامتيازات بالأمر الواقع ، وانجلترا من ورائها تؤيدها فى ذلك ولا تستطيع هذه الدول أن تقوم بأكثر من احتجاج ليست له قيمة عملية ، ولا تملك إلا أن تأسف على الفرصة التى ضاعت منها برفضها الاتفاق مع مصر عندما فاوضتها الحكومة المصرية .

وقد يقال : ولكن مالنا لا نجعل هذه الخطوة الثالثة هى الثانية ، فلا نحاول الاتفاق مع الدول ، ونتفاهم مع انجلترا رأساً على الأسس المتقدمة فنكسب بذلك أن تكون النظم الجديدة قد أقيمت على تشريع مصرى داخلى بدلا من معاهدة دولية ، ويكون القضاة المصريون أوفر عدداً وأقوى نفوذاً ؟ قد يكون هذا صحيحاً من الناحية النظرية ، أما من الناحية العملية فيظهر لنا أن موقف الحكومة المصرية فى اتخاذ الخطوة الثالثة يكون أشد قوة أمام الرأى العام الدولى إذ لم تخط هذه الخطوة إلا بعد إخفاقها فى الخطوة الثانية وفشلها فى الوصول الى اتفاق عادل مع الدول . ثم إن انجلترا تكون أقوى حجة فى تأييد مصر ، بعد أن تكون هذه قد أعذرت الى الدول وأقامت الدليل على تعنتها . هذا الى أنه قد يكون خيراً لمصر أن تعقد معاهدة مع الدول لتعديل نظام الامتيازات من أن تلجأ الى التفاهم مع انجلترا ولها مركز خاص فى مصر كما لا يخفى . على أنه إذا أظهرت انجلترا استعداداً للتفاهم معنا على الأسس المتقدمة دون أن يسبق ذلك مفاوضات مع الدول ، فلا بأس علينا من السير فى هذا الطريق ، بشرط ألا يكون هذا التفاهم من شأنه أن يثبت لانجلترا حقاً فى حماية المصالح الأجنبية فى مصر والتدخل فى شؤوننا الداخلية تحت هذا الستار .

أما إذا لم نوفق فى هذه الخطوة الى التفاهم مع انجلترا على ماقدمناه من الأسس ، ووقفت هذه الدولة الى جانب الدول ذوات الامتيازات فلا يبقى الا أن نخطو الخطوة الرابعة ، وهى الخطوة الأخيرة .

الخطوة الرابعة

فى هذه الخطوة يجب أن نعتمد على أنفسنا : على قوة الرأى العام وعلى الحيوية الكامنة فى الأمة . فانه لا يوجد شعب يريد الحياة عزيزة ويذل . ونحن قد تلطفنا فى المسلك وتدرجنا فى السير ولم نخط خطوة إلا بعد أن ألجأتنا اليها الضرورة الملحة . فليس أمامنا بعد ذلك إلا إحدى سبيلين :

إما أن نعلن إلغاء الامتيازات الأجنبية بعد إلغاء المحاكم المختلطة ، دون حاجة الى التفاهم مع انجلترا على ذلك . والقانون والعدالة فى جانبنا ، فان هذه الامتيازات فى أساسها التاريخى وفى تطبيقاتها الحالية جائرة لا تتفق مع أبسط مبادىء العدالة ، وهى تصطدم مع مستلزمات السيادة الداخلية للدولة . وهى فوق ذلك يجب أن تسقط بانفصال مصر عن تركيا . وقد تخلصت منها بالفعل البلاد التى انفصلت عن الترك . ثم إنها مبنية على معاهدات بالية يجب أن تلغى طبقاً لمبدإ تغير الظروف ، وهو مبدأ معروف فى القانون الدولى أيدته المادة التاسعة عشرة من عهد عصبة الأمم .

هذا الى أنه لا توجد دولة بليت بامتيازات كالتى بلينا بها الا عمدت الى إلغائها ، رضيت الدول الممتازة أو لم ترض ، وقد فعلت ذلك اليابان وتركيا وفارس والصين . فنحن الدولة الوحيدة المتمدينة التى ظلت فيها الامتيازات الأجنبية مترعرعة حتى الآن ، ولسنا دون هذه الدول مرتبة فى المدنية ، ولا عذر لنا فى الأحجام عن إلغائها إلا إذا كنا مقتنعين بأننا أضعف من هذه الدول عزيمة وأقل استحقاقاً للحياة . أما إذا صحت عزيمتنا على إلغاء الامتيازات أمكننا أن ندخل النظم التى أشرنا اليها بتشريعات داخلية دون اتفاق مع انجلترا على ذلك ، على أن يكون كل هذا موقتاً حتى يحين الوقت المناسب لالغاء هذه التشريعات ، وإرجاع الأمور الى نصابها ، وتوحيد المحاكم فى البلاد .

وإذا ضعفنا عن هذا الموقف الحازم ، فأمامنا سبيل أخرى : ننفذ إلغاء المحاكم المختلطة ، وليس للدول علينا من سبيل فى هذه الحالة إلا أن تطالب بارجاع الامتيازات الأجنبية كما كانت قبل قيام هذه المحاكم [1] أما فى التشريع فنستمسك بحقنا فى سريان

(١) أثار بعض الكتاب فى هذه الأيام الأخيرة اعتراضين لا نرى الوقوف عندهما طويلا : الاعتراض الأول يتلخص فى أن مصر لا تملك إلغاء المحاكم المختلطة إلا بالاتفاق مع الدول ، ونحن لا نشك فى أن مصر تملك إلغاء هذه المحاكم باعلان يصدر من جانبها ، وإذا كانت المادة الأربعون من الباب الثانى من لائحة ترتيب المحاكم المختلطة ليست صريحة فى ذلك ، فان الاتفاق الذى تم أخيراً مع الدول وصدر به قانون ٢٨ لسنة ١٩٢١ لا يدع مجالا للشك

التشريع المصرى فى المواد العقارية على الأجانب دون حاجة الى موافقة الدول ، بما فى ذلك الضرائب العقارية . وأما فى القضاء فتسترد المحاكم الأهلية لاختصاصها القضايا التى يكون المدعى عليه فيها مصرياً ، وقضايا الأجانب غير المتمتعين بالامتيازات سواء أكانوا مدعين أم مدعى عليهم . ونحن ، حتى اذا لم نضف الى هذه القائمة جميع القضايا العقارية ولو كان الخصوم فيها أجانب متمتعين بالامتيازات ، لا نكون قد استرددنا أقل من ثلاثة أرباع القضايا التى هى الآن من اختصاص المحاكم المختلطة . أما الربع الباقى فلا يهمنا منه إلا عدد قليل من القضايا يكون المدعى فيها مصرياً ، فعليه أن يتحمل عناء مقاضاة الأجنبى فى قنصليته . على أن عناء المصرى لا يزيد على عناء الأجنبى اذا دخل هذا فى خصومة مع أجنبى من جنسية أخرى فان المدعى فى هذه الحالة يقاضى المدعى عليه فى قنصليته ، وهذا يستتبع كثيراً من الفوضى يكون الأجنبى ضحية لها قبل المصرى

قد يعترض على هذا الحل وعلى الحل الذى قبله بأن الأجانب سيبقون فى مركزهم متعنتين لا يقبلون أى اتفاق على تعديل النظم القائمة ، واذا اقتضى الأمر أن يسحبوا أموالهم من مصر فعلوا ذلك ، فتصبح البلاد فى فقر مدقع ، وتقع فى أزمة أشد خطراً من أزمة الامتيازات الأجنبية . نحن نعتقد أن فى هذا القول مبالغة كبيرة ، فليس من اليسير على الأجانب أن يسحبوا أموالهم من بلد يستغلونها فيه على خير وجوه الاستغلال وأكثرها كسباً . ثم هم اذا فعلوا فلا يكون ذلك إلا تدرجاً ، لأن من الأموال الأجنبية فى مصر مالا تمكن تصفيته إلا بعد مدة طويلة . أفلا يكون من الخير لمصر فى هذه الحالة أن تنتهز هذه الفرصة التى سنحت فيحل أبناؤها شيئاً فشيئاً محل الأجانب فى الميادين المختلفة التى أخلاها هؤلاء ، وتستبدل بالأموال الأجنبية أموالاً مصرية ؟

فى أن مصر تملك هذا الحق . والاعتراض الثانى هو أن إلغاء المحاكم المختلطة من جانب مصر وحدها دون موافقة انجلترا على ذلك من شأنه أن يدعو انجلترا الى التدخل بحجة حماية المصالح الأجنبية ، ونحن لا نرى محلاً لتدخل انجلترا بهذه الحجة ، فان حماية المصالح الأجنبية فضلا عن أنها مجرد زعم من جانب انجلترا لم نعترف لها به ، لا تستدعى التدخل إلا اذا جاوزت مصر حقها واعتدت على حقوق الأجانب ، ومصر إنما تستعمل حقاً ثابتاً لها اذا أعلنت إلغاء المحاكم المختلطة . قد يكون هناك محل للقول بتدخل انجلترا اذا ألغت مصر الامتيازات الأجنبية مع المحاكم المختلطة دون أن تتفق الدولتان على ذلك . أما اذا اقتصرت مصر على إلغاء المحاكم المختلطة فان تدخل انجلترا لا يكون مفهوماً فى هذه الحالة

على أن هذه المسألة يجب أن تنتقل من رجال القانون إلى رجال الاقتصاد ، فيبحثوها بحثاً دقيقاً على أساس اقتصادى صحيح . أما نحن فنعتقد أن خطر سحب الأموال الأجنبية من مصر خطر موهوم ولا نقيم له وزنا .

ومن ذلك نرى أنه اذا عدمنا الوسائل وأعوزتنا الحيل ، لجأنا الى هذا الحل الأخير ، فألغينا المحاكم المختلطة ، ورجعنا الى نظام الامتيازات القديم ، وهذا خير من بقاء المحاكم المختلطة معقلاً للامتيازات الأجنبية ، تنتقص من سيادة البلاد ، وتمتهن من كرامتها ، ونحن عاجزون عن دفع هذا البلاء عنا كما أثبتت ذلك الحوادث الأخيرة . ولقد كانت الامتيازات الأجنبية فى عصر اسماعيل بيتاً متهدماً يتداعى للسقوط ، فأراد اسماعيل ونوبار أن يهدما البيت بانشاء « محاكم الاصلاح » ، فاذا بهما يرممانه بمجدر سميكة من هذه المحاكم ، حتى بقى متماسكا صلباً زهاء الستين عاماً . وقد آن لأبناء هذا الجيل أن يدخلوا البيت حتى يثبتوا فيه القدم المصرية ، وإلا وجب عليهم أن يتركوه يتهدم ؟

عبد الرزاق السنهورى

مملكة فى الصخر
أو
بلاجيوس

للأستاذ محمد عبد الله عنان

منذ ثلاثة أعوام ، فى منتصف ابريل سنة ١٩٣١ ، انهار صرح الملوكية الأسبانية ، واختتم أقدم العروش الأوربية حياته الطويلة الحافلة ، وطويت من التاريخ صفحة يشغل تاريخ العرب والاسلام منها حيزاً كبيرا . ذلك أن الملوكية الأسبانية التى شهدنا سقوطها بالأمس ، هى نفس تلك الملوكية التى سحقها العرب يوم فتحوا الأندلس (٩٢ هـ — ٧١١ م) ، والتى استأنفت بعد ذلك حياتها ضئيلة متواضعة فى قاصية أسبانيا الشمالية وفيما وراء الصخر ، ثم لبثت تنمو بطيئة ولكن ثابتة حتى رسخت دعائمها فى هاتيك الهضاب ؛ وبدأت بعد ذلك معركة الحياة والموت مع تلك المملكة الاسلامية التى قامت فى أسبانيا على أنقاض مملكة القوط النصرانية ، ولبثت مدى قرون طويلة تطاولها وتجاهدها ، حتى آذنت دولة الاسلام فى الأندلس بالاضمحلال ؛ ومازالت المملكة النصرانية فى نمو مستمر ، والمملكة الاسلامية فى ضعف مستمر ، حتى غدا الاسلام محصوراً فى مملكة غرناطة الصغيرة ، ثم حلت المعركة النهائية ؛ وظفرت الملوكية الأسبانية بتحقيق برنامجها القديم وغايتها الخالدة ، فانتزعت غرناطة معقل الاسلام الأخير ، وقضت على دولة الاسلام بالأندلس (٨٩٧ هـ — ١٤٩٢ م) .

وقد نشأت الملوكية الأسبانية الذاهبة فى ظروف كالأساطير ، ونشأت فى نفس الوقت الذى افتتح فيه العرب أسبانيا ، وسحقوا دولة القوط القديمة . فى موقعة شريش التى مزق فيها جيش القوط ، وقتل آخر ملوكهم رودريك « لذريق » (٩٢ هـ) ، فرت شراذم قليلة من الجيش المنهزم الى الشمال ، واختفت فيما وراء تلك الجبال الشمالية التى وقف عندها تيار الفتح الاسلامى ، واجتمعت بالأخص فى هضاب كانتابريا (نافار وبسكونية) فى الشرق ، وفى هضاب استوريس فى الغرب ؛ واجتمع فل النصارى فى الهضاب الشرقية تحت لواء زعيم يدعى الدوق بتروس ، واجتمع فى الهضاب الغربية ، فى جليقية تحت لواء زعيم يدعى بلاجيوس أو بلايو . وكان بتروس ينتمى إلى أحد الأصول الملكية ، وكان من قادة الجيش فى عهد وتيزا ملك القوط ، ثم فى عهد خلفه ومغتصب ملكه رودريك . أما بلاجيوس أو بلايو فيحيط الغموض بأصله ونشأته ، ولكن يبدو مما تنسبه اليه الرواية من ألوان الوطنية والبسالة والبطولة أنه كان رفيع المنبت والنشأة ؛ وتقول بعض الروايات أنه ولد الزعيم فافيلا الذى قتل الملك وتيزا فى هضاب جليقية ، وأنه كان لذلك من خاصة الملك رودريك وقادته[1] . وتعرف الرواية الاسلامية بلاجيوس وتحدثنا عنه وتسميه « بلاى » ، وتصفه أحياناً بأنه أمير أو ملك ، وتنعته غالباً بأنه « علج من علوج النصارى »[2] ، وتتبع أخباره مع المسلمين ولكنها لا تلقى ضياء كثيراً على أصله ، أو أحوال مملكته الصغيرة . ذلك لأن المسلمين لم ينفذوا قط الى ما وراء الهضاب الوعرة التى امتنع بها هذا الزعيم وفله ، والتى نشأت فيها جذور المملكة النصرانية الشمالية التى غدت غير بعيد خطراً على دولة الاسلام فى أسبانيا . ومن الغريب أن راوية نصرانيا كبيراً معاصراً هو «ايزيدور الباجى»[3] وهو حبر عاصر الفتح الاسلامى وكتب روايته فى منتصف القرن السابع ووصل فى كتابتها حتى سنة ٧٥٤ م ، لم يذكر لنا فى روايته شيئاً عن قيام تلك المملكة النصرانية الصغيرة فى الشمال ، ولا عن زعيمها أو ملكها بلاجيوس ، ولا عن غزوات المسلمين لها ، مع أن ايزيدور يتتبع أخبار الغزوات الاسلامية كلها منذ الفتح حتى منتصف القرن الثامن ، سواء فى أسبانيا أو فى مملكة الفرنج ، ويقدم الينا عنها كثيراً من التفاصيل والملاحظات الهامة . وقد يرجع ذلك الى أن ايزيدور ، وهو يقيم فى الجنوب فى مدينة باجة ، كان يجهل قصة هذه المملكة النصرانية الشمالية الناشئة ، ولكن ما نراه من عنايته بتدوين أخبار الغزوات الاسلامية فى فرنسا ، وأخبار مملكة كوتين،

(١) يقول المؤرخ المستشرق كاردون ان بلاجيوس ينتمى الى أصل ملكى ، وانه الأمير الوحيد الذى نجا من فتك العرب (راجع Hist de l'Afrique et de l'Espagne : I - 105) بيد ان كاردون لا يقول لنا من أين استقى هذه الرواية

(٢) راجع أخبار مجموعة فى فتح الأندلس ص ٢٨ — ونفح الطيب للمقرى — ج ١ ص ١١٠

(٣) Isidori Pacensis Chronicon

يحملنا على الاعتقاد بأنه لم يكن يجهل أخبار مملكة جليقية النصرانية ، وهى أقرب اليه من فرنسا ، وأن أسباباً أخرى لعلها ترجع الى انتماء أميرها بلاجيوس الى حزب رودريك الذى كان يبغضه المؤرخ هى التى حملته على إغفال أخبارها [١] .

وعلى أى حال فان الرواية الاسلامية تذكر لنا كيف نشأت المملكة النصرانية الاسبانية فى الهضاب الشمالية بعد أن سحقت فى موقعة شريش ، فقد لجأت شراذم قليلة من القوط عقب الفتح الى الجبال الشمالية ، وامتنعت فى مفاوز جبال استوريس كما قدمنا ؛ وقامت امارتان نصرانيتان صغيرتان فى كانتابريا وجليقية . وكانت امارة كانتابريا التى أسسها الدوق بتروس ، لوقوعها فى الطرف الغربى من جبال البرنيه (البرت) فى سهول نافار وبسكونية عرضة لاقتحام الفاتحين حين سيرهم الى فرنسا وحين عودهم منها . ولكن امارة جليقية كانت تقع فى أعماق جبال استوريس الوعرة ، بعيداً عن غزوات الفاتحين ، وسميت جليقية لأنها قامت على حدود الولاية الرومانية القديمة التى كانت تسمى بهذا الاسم . فى هذه الهضاب النائية المنيعة اجتمع بلاجيوس وصحبه ، وعددهم لا يتجاوز بضع مئات حسبما تقول الرواية ، ولجأوا الى مغار عظيم يقع فى آكام كافادونيا ، وتحيط به وديان سحيقة خطرة ، ويعرف فى الرواية الاسلامية باسم « الصخرة » [٢] . ويقول لنا ابن خلدون فى الفصل الذى يخصصه « لملوك الجلالقة » إن هذه الامارة الصغيرة التى كانت مهد المملكة النصرانية لا تمت بصلة الى القوط ، وان ملوك الجلالقة ليسوا من القوط ، لأن أمة القوط كانت قد بادت ودثرت لعهد الفتح الاسلامى [٣] ، بيد انه يصعب علينا أن نقبل هذا الرأى على اطلاقه ، فمن المحقق أن فلول النصارى التى لجأت الى الشمال كانت مزيجاً من القوط والاسبان المحليين ، ولكن الظاهر مما انتهى الينا من أقوال الروايتين المسلمة والنصرانية أن الزعماء ، ولا سيما بلاجيوس كانوا من القوط ، وان ملوك الجلالقة يمتون الى القوط بأكبر الصلات .

ولم يعن المسلمون بادئ بدء بهذه الشراذم الممزقة ، وكان اغفال أمرها من أعظم أخطاء الفاتحين ، بيد أنه لما كثرت ثورات النصارى فى الشمال ، وبالأخص فى بسكونية ، (أو بلاد البشكنس) اهتم ولاة الأندلس بقمعها وتأمين الولايات الشمالية ؛ وسير الحر ابن عبد الرحمن الثقفى والى الأندلس سنة ٧١٨ م (٩٨ هـ) جيشاً الى الشمال لاخضاع النصارى . فاجتاح المسلمون بلاد البشكنس وهضاب استوريس ، وأوفدوا حليفهم الاسقف اوباس ، وهو أخو الملك وتيزا ، الى بلاجيوس ليقنعه بالتسليم وعبث المقاومة ، فأبى بلاجيوس ، ونفذ المسلمون الى أعماق الجبال ، وحاولوا عبثاً أن يستولوا على مراكز العدو ، وحالت بينهم وبينه الوديان السحيقة والآكام الرفيعة ؛ وحصر بلاجيوس وأصحابه مدى حين ، وقطعت عنهم المؤن ، وتساقطوا تباعاً من الجوع حتى لم يبق منهم على قول الرواية سوى ثلاثين رجلا وعشر نساء [١] . وتزعم بعض الروايات النصرانية أن بلاجيوس كر على المسلمين ، وانهم هزموا هزيمة شنيعة وفقدوا ألوفاً كثيرة ، ووقع أوباس أسيراً فى أيدى مواطنيه فعاقبوه على خيانته بالموت [٢] .

ولما رأى المسلمون وعورة الهضاب وقسوة الطبيعة ارتدوا عن جليقية محتقرين شأن هذه الشرذمة الممزقة الجائعة ؛ فقويت لذلك نفس بلاجيوس وأصحابه ، وانضم اليه كثير من النصارى فى كانتابريا وسهول جليقية ، واختاروه ملكا عليهم لما رأوا من بسالته وبراعته وقوة عزمه ؛ وألفى بلاجيوس الفرصة سانحة لتوطيد سلطانه وتوسيع أملاكه ، فأخذ يغير على الأراضى الاسلامية الشمالية ، وبدا لحكومة الأندلس خطر هذه العصابات الجبلية التى أخذت تنتظم الى قوة يخشى بأسها ؛ ولكن اضطراب الشئون الداخلية حال مدى حين دون مطاردتها وغزوها .

وفى سنة ١١٢ هـ (٧٣٠ م) ، فى عهد أمير الأندلس الهيثم ابن عبيد ، بعث حاكم ولاية البرنيه ، عثمان بن أبى نسعة الذى تعرفه الرواية النصرانية باسم منوزا أو مونز ، جيشاً الى جبال استوريس لغزو جليقية وسحق أميرها بلاجيوس ؛ ولكن بلاجيوس استطاع أن يصمد للمسلمين كرة أخرى وأن يهزمهم هزيمة شنيعة . ولما رأى بلاجيوس منعة معقله وقوة عصبته ،

(١) راجع :
Aschbach : Geschichte der Omajaden in Spanien I. s. 142

(٢) نفح الطيب ج ٢ ص ٥٧

(٣) ابن خلدون — ج ٤ ص ١٧٩

(١) أخبار مجموعة ص ٢٨ —
Dozy : Musulmans de l'Espagne—V. II. 128

(٢) Cardonne; ilid; I - 109 — Aschbach; ilid; I - 145

اخترق بسكونية ، وهاجم قوات ابن أبي نسعة في الوقت الذي كان يتأهب فيه للسير اليه ، ومزق بعض وحداتها ، ثم ارتد الى هضابه فاستعصم بها . ولما اضطربت شئون الأندلس بعد مقتل أميرها عبد الرحمن الغافقي وارتداد جيشه في بلاط الشهداء (١١٤هـ — ٧٣٢ م) ، وشغل الولاة برد جيوش الفرنج عن الأراضي الاسلامية في سبتمانيا ، كثرت غارات العصابات الجليقية على الأراضي الاسلامية في شمال نهر دورو (دويره) وفي منطقة استرقة ، وعانى المسلمون في تلك الأنحاء كثيراً من عيث النصارى ؛ ولم تسعفهم حكومة قرطبة بالمدد والعون ، لاضطرام الأندلس بالفتن ونشوب الحرب الأهلية بين مختلف الزعماء والقبائل . وكانت سلطة الحكومة المركزية ضعيفة في تلك الأنحاء النائية ، وكان سكانها ومعظمهم من البربر يكثرون من الخروج والثورة سخطاً على العرب واستئثارهم بالحكم والسيادة . وكان النصارى من رعايا حكومة قرطبة يدسون الدسائس ويرتكبون شتى الخيانات ، ويشجعون بذلك بلاجيوس وعصاباته على الاغارة والعيث في أراضي المسلمين ؛ وكانت الامارة النصرانية الناشئة تنمو خلال ذلك ويشتد ساعدها ، ويهرع النصارى الى لواء بلاجيوس من مختلف الأنحاء .

واستمر بلاجيوس في حكم إمارة جليقية زهاء تسعة عشر عاما ، وتوفي سنة ٧٣٧ م . ولكن بعض الروايات النصرانية تضع تاريخ وفاته بعد ذلك ، فتقول إنه لبث حتى ولاية عبد الرحمن بن يوسف الفهري للأندلس (١٢٧ — ١٣٨ هـ) (٧٤٥ — ٧٥٥ م) ، وان الموقعة التي نشبت بين عثمان بن أبي نسعة وبلاجيوس كانت بين سنتي ٧٤٦ و ٧٥١ [1] ، وهي رواية ظاهرة الضعف . لأن عثمان ابن أبي نسعة قتل سنة ١١٤ هـ (٧٣٢ م) ، والرواية الاسلامية واضحة دقيقة في ترتيب الوقائع والتواريخ في هذا الموطن . وخلف بلاجيوس ولده فافيلا ، ولكنه توفي بعد حكم لم يطل أمده سوى عامين (سنة ٧٣٩ م) . وكان الدوق بتروس أمير كانتابريا قد توفي في ذلك الحين أيضا ، وخلفه ولده الفونسو دوق كانتابريا ، ونمت هذه الامارة النصرانية الصغيرة أيضا واشتد ساعدها ، وقويت أواصر التحالف بينها وبين جليقية بتزوج أميرها الفونسو من ابنة بلاجيوس واسمها اورموزنده أو هرمزنده ؛ فلما توفي فافيلا ولد بلاجيوس ، اختار الجلالقة الفونسو دوق كانتابريا ملكا عليهم ، واتحدت الامارتان ، وقامت منهما مملكة نصرانية واحدة ، هي مملكة ليون النصرانية أو مملكة جليقية في الرواية الاسلامية ، تمتد من بلاد البشكنس شرقاً الى شاطئ المحيط غربا ، ومن خليج بسكونية شمالا الى نهر دويرة جنوبا ، وتشمل مناطق شاسعة من القفر والهضاب الوعرة ، وتحتجب وراء الجبال بعيدة عن سلطان المسلمين وغزواتهم .

ويعتبر الفونسو دوق كانتابريا ، أو الفونسو الأول «الكاثوليكي» مؤسس المملكة النصرانية الشمالية ، واصل ذلك الثبت الحافل من ملوك قشتالة [1] الذين لبثوا قروناً يدفعون حدودهم الى الجنوب في قلب المملكة الاسلامية ، ثم انتهوا بافتتاحها والاستيلاء على غرناطة آخر معاقلها (١٤٩٢ م) ؛ وحكم الفونسو في ظروف حسنة ، فقد كانت الحرب الأهلية تمزق الأندلس ، وكان أمر الولايات الشمالية فوضى ، والضعف يسود المسلمين في تلك الأنحاء . وكان ثمة منطقة عظيمة من القفر والخراب تفصل بين جليقية وبين الأراضي الاسلامية ، فاجتاحها الفونسو بجموعه وقتل من بها من المسلمين القلائل ، ودفع النصارى الى الشمال . ولما حل القحط بالأندلس (سنة ١٣٣ هـ — ٧٥٠ م) ، واشتد عصفه بالولايات الشمالية الغربية ، جلا كثير من المسلمين عن تلك الأنحاء ، واشتد ساعد النصارى فيها ، ورفعوا لواء الثورة ، وفتكوا بالمسلمين ، ونادوا بالفونسو ملكا عليهم [2] ؛ وانتهز الفونسو هذه الفرصة فغزا استرقة واستولى عليها من يد المسلمين واستولى على كثير من البلاد والضياع المجاورة وضمها لأملاكه (١٣٦ هـ — ٧٥٣ م) . وهكذا نمت تلك المملكة النصرانية التي نشأت في ظروف كالاساطير ، واتسعت حدودها ، واشتد بأسها بسرعة مدهشة ، ولم يأت منتصف القرن الثامن حتى بدأت تناهض الاسلام في الأندلس وتغالبه ؛ ولم يأت عهد الناصر لدين الله حتى كان وجودها خطراً على الدولة الاسلامية ذاتها ؛ وحتى بدأت بين الاسلام والنصرانية في الأندلس معركة الحياة والموت . وسطع الاسلام

(١) Aschbach; ibid - I. 148 - 149
(٢) Dozy; ibid; II - 130; Aschbach; ibid I - 152

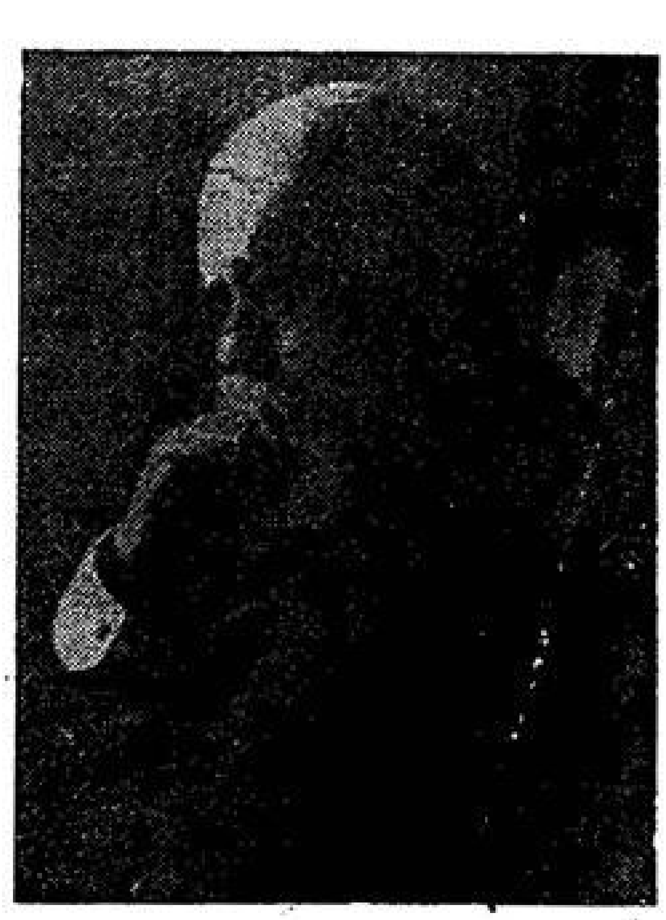
(١) ابن خلدون — ج ٤ ص ١٧٩
(٢) أخبار مجموعة — ص ٦١ و ٦٢ — Dozy; ibid, II - 130

فى الأندلس واستعاد منعته وبهاءه مدى حين ، أيام الناصر لدين الله ، ثم فى أيام الحاجب المنصور ؛ واضطرمت فورة الاسلام أيام المرابطين ، ثم الموحدين ؛ ولكنها كانت جميعاً فورات مؤقتة ، وكانت أسباب الانحلال التى سرت الى الدولة الاسلامية تعمل عملها ببطء ؛ ثم سطعت دولة الاسلام فى مملكة غرناطة الصغيرة مدى حين ، ولكن المعركة لم تكن متكافئة بعد ، وكانت مملكة قشتالة النصرانية تسير ثابتة مطمئنة الى تحقيق بغيتها الخالدة : استعادة الوطن القديم كله من يد الفاتحين .

محمد عبد الله عنان
المحامى

الحياة بعد الموت
ماهو الموت ؟
رأى السير اوليفر لودج

حديث الحياة بعد الموت ألذ الأحاديث ، ولا سيما إذا أنبأك به خبير ينبى ما يقول على أساس علمى . ومن هؤلاء الخبيرين السر أوليفر لودج العالم الطبيعى الانجليزى . وليس المراد بالطبيعى هنا ما يفهم عادة من هذه اللفظة ، أى العالم الدهرى المادى الذى ينسب الى الطبيعة الجامدة ما ليس لها ويحلها محلاً أرفع من العقل ، والذى شعاره وشعار طغمته « نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر » بل المراد بالطبيعى فى هذا المقال العالم الذى تفرغ لدرس نواميس الطبيعة وكشف النقاب عن أسرارها وحل ألغازها بانياً ذلك كله على البرهان العلمى



السير أوليفر لودج

رأيت للسر أوليفر لودج مقالاً فى مجلة انجليزية عنوانه « ما هو الموت » . وسأحاول تلخيصه بهذا المقال تاركا للقراء الحكم فيه وما يستسيغون منه

مهد لموضوعه بمقدمة وجيزة عن كون الموت موضوعاً يدخل الغم على النفوس لأنه سفر مجهول وفرقة لا لقاء بعدها على هذه الأرض . ثم قال ما خلاصته .

إذا شئنا أن نفهم ماهية الموت وجب أولاً أن نعرف ما هى الحياة . وتعريف الحياة ليس بالأمر السهل . فاننا نعرف شيئا عنها — نعرف أنها ليست صورة من صور الطاقة (energy) بل انها مبدأ للهداية والارشاد . وتستخدم لذلك الطاقة والمادة ولا يلوح أنها شىء طبيعى البتة

نحن نعيش فى فرن من الطاقة المنبثقة من نور الشمس ، ولنا قدرة على توجيهها وادارتها . والدليل على أن الحياة ليست طاقة هو أن فى وسع البذرة مثلاً أن تخرج أجيالاً لا يحصى عددها

والحياة تحدث أشياء لا يمكن أن تحدث بغيرها من الصدفة البحرية الى الكنيسة الكاتدرائية . وذلك بتداخلها هى والمادة ، وهذا التداخل أوجب تجهيزها بجسم مادى

وماذا نعنى بالجسم ؟ نعنى به طريقة للظهور أو أداة . فقد يكون للموسيقار موسيقى فى روحه ، ولكنه يحتاج الى آلة لاظهارها . فالجسم للنفس كالقيثارة للموسيقار

نحن بنينا الجسم طبقاً لأعمال طبيعية وبلا علم منا ، وصففنا دقائق الطعام على شكل خاص . ولا ريب أن للشكل معنى

والعنصر الطبيعى والعنصر العقلى متفاعلان . فهل يحتمل أن العنصر العقلى الذى يدبر ويريد ويرجو ويرسم الخطط ويحب ، محصور فى طريقة ظهوره وعمله وحركته ، ومقصور على مركب كيميائى معين ، وخصوصاً المركب المعروف باسم البيومن (المادة الزلالية التى توجد فيها نطفة الحياة أو البروتو بلازم) . فكرة على غاية من السخافة

إننا نعرف العنصر العقلى على هذه الصورة المعينة ، ولكن قد تكون له صور وأشكال لا عداد لها ونجهلها الآن

ونحن مجهزون بآلة نسميها الجسم ، وهذا الجسم مصنوع الآن من المادة . ومن السهل تصور صنعه من أشياء أخرى

ولـكن هذه العلاقة علاقة المادة بالعنصر العقلى أو النفسى الذى يتسلط عليها ويستخدمها يمكن فصلها وانهاؤها ، وهذا الفصل والانهاء هو الموت ، فالموت إذاً هو افتراق النفس عن الجسد ، ولـكنه ليس فناء وإضمحلالاً ، بل فرقة وخروجا عن « علمنا الحاضر »

ويقول البيولوجيون الذين درسوا هذه المسألة إن الموت ليس أمراً لازماً للجسم كله ، بل إن الخلايا الأخيرة خلايا التناسل لا تموت . والحييوينات الدنيا ذات الخلية الواحدة خالدة . فقد تقتل ولـكنها لا تموت بل تنقسم قسمين وأ كثر ، وتبقى تتقسم وتستمر حية .

أما الأحياء العليا مثلنا ففيها خلايا أخرى غير الخلايا الخالدة ، وهذه الخلايا هى التى تموت . ولما كانت تزيد كثيراً على الخلايا الخالدة ، فانها تزول بالتفاعل الـكيميائى الحادث فى الجسم بعد انفصال الروح عنه ، وبذلك يزول الجسم أى أنه يتحول على طول المدى . وقد عرف الشعراء ذلك فقال شكسبير :

« أضجعت هنا فى الارض ، ولتنبت أزهار البنفسج الربيعية من لحمها الجميل غير الفاسد »

وقال تنيسن : وليصنع من رماده بنفسج بلاده »

لـكن الميت ليس هنالك ، بل هو ذلك الذى مر فى الجسم ورحل . فلا نخش لفظة الموت . ولا فائدة من القول أن لاموت . بل الموت موجود والمسألة مسألة تفسير وتأويل ، فاذا قلت أن لاموت عنيت أن لافناء . اذ الموتى لم يموتوا ، بل لايزالون أحياء عند ربهم يرزقون كما قال تنيسن ، وليست حياتهم الثانية كالحياة الأولى ولـكنها حقيقية مثلها

يخبرنا الذين رحلوا عنا (يشير الى ابنه رايموند الذى قتل فى الحرب وقال انه ناجاه وكتب مجلداً كبيراً عنه وعن مناجاة الأرواح) بأن لهم أجساماً غير عادية ، لـكنها محسوسة وجامدة مثل الاجسام الأولى بل أحسن منها .

ويقولون إنهم مسرورون ، وانهم لا يحبون العودة الى الارض مهما أعطيتهم . وانهم حولنا وأ كثر دخولاً وخروجاً معنا مما يخيل الينا . وكل ماهناك انهم لايقعون تحت حواسنا

الحياة متصلة غير منقطعة ، والموت لايغير أحوال هذا الـكون لانه شيء داخلى يتعلق بالفرد ، وليس الموت سوى تغيير فى نظره الى الـكون وفى ادراكه لما فيه . فقد كان يدرك نظاماً معيناً فاذا مات أدرك نظاماً آخر . ونحن نسمى ماوراء القبر العالم الثانى أو الحالة المستقبلة ، وأما الـكون فواحد ولـكن هناك حاجزاً . ونحن نعرف الآن ونُعرف على جانب من هذا الحاجز ، فاذا متنا عرفنا الجانب الآخر وعُرفنا فيـه . وربما عُرفنا ماهناك وعرفنا بجلاء لا يقل عما نعرف ونُعرف هنا

ان فى الـكون عالماً آخر بل قد تـكون هناك عوالم كثيرة غير التى قدرت لنا معرفتها ، وليس عالم حواسنا سوى جزء صغير من ذلك الفلك المدار

وقد تسألنى : وكيف عرفت أن أولئك الراحلين لايزالون باقين . فأجيبك بأنى لا أرتاب فى ذلك لأنى أتصل بهم كثيراً . وأنت لا تستطيع أن تشك فى وجود الذين تخاطبهم بالتليفون أو اللاسلـكى . وليست الحياة شيئاً يفنى ولـكنها تظهر بمظاهر شتى ، وهذه الحياة الدنيا هى أحد تلك المظاهر

وسـنلبس فى العـالم الآخر اجساداً ونتخذ أشكالاً يمكننا التعارف بها . واذا نظرنا الى المسألة بعين العلم الباردة (أى الخالية من العواطف) وجدنا أن هناك حقائق كثيرة تؤيد البقاء بعـد الموت ، وأنا مقتنع بها بالبرهان التدريجى . ولست أنتظر أن يؤمن كل أحد على قولى هذا ، ولـكننى أؤكد تأ كيداً علمياً أن الحياة شيء دائم ، وانها والمادة تتداخلان زمناً وتتفاعلان ، ثم تطلق المادة الى محيط آخر وبيئة أخرى

وتسألنى هل الحياة القادمة أ كثر سعادة من الحياة الحاضرة ؟ فأجيبك بأن ذلك يتوقف على ما نصنع هنا ، وعلى انتهازنا للفرص التى تعرض لنا فى هذه الحياة .

ولقد تعودنا المظهر المادى هنا حتى بات يصعب علينا تصور مظهر آخر ، بل ان بعضنا لا يسـتطيعون أن يتصوروه . أما أنا فأستسهل هذا التصور ، لأننا فى علم الطبيعة نبحث فى أشياء كثيرة لاتقع تحت الحس ، ولـكنها مع ذلك حقيقية كالتى نشـعر بها بحواسنا ، بل ربما كانت أقرب الى الحقيقة منها . فاننا جعلنا نحلل المادة وندرس طبيعتها حتى ليصح القول أننا مع كثرة تحليلنا لها نكاد لا نعرف شيئاً عنها

صورة من الثورة الفرنسية

مدام رولان

١٧٥٤ - ١٧٩٣

بقلم عبد الرحمن فهمى
ليسانسيه فى الآداب

مدام رولان ، أنقى شخصيات الثورة الفرنسية ، لا تزال تدوى كلماتها الأخيرة وهى تصعد درجات المقصلة فى كافة الأرجاء .

وهى مانون ابنة مثال باريسى يدعى فيلبون ، وكانت غرفتها ملاصقة (لاستيديو) النحت ، تقضى فيها وقتها منهمكة فى قراءة تراجم أبطال التاريخ . أبكاها يوماً أنها لم تكن رومانية أو اسبرطية ، وقد جهلت أنها سوف تواجه أزمة لم يواجه مثلها أحد ممن كانت تحلم أن تكون مثلهم من أبطال التاريخ .

وكان يسرها كثيراً فوق قراءة الكتب اصطحاب أمها لها الى حديقة النبات أو اللكسمبورج فى باريس ، عشقت القرية ، ويدل على ذلك قولها (إننى أحب هذا السكون الذى لا يعكر صفوه غير صياح الديكة ، وأشعر بالراحة التى تشعر بها شجرة ينقلونها من صندوق ضيق محدود الى حقل واسع فسيح) وأحبت الرسم الذى يأخذك منه سحره وقوته . غير أنها لم تواصل عمل أبيها فى النحت طويلا ، لأنها مالت الى العلوم ، فكانت تنمى بما تقرأه وتلحظه من تجارب الحياة عقلا ناضجاً خدمت به الصالح العام .

أدخلت وهى فى الحادية عشرة من عمرها ديراً تعرفت فيه بصديقتين حميمتين توثقت بينهن عرى الصداقة وهما : هنريت وصوفى كانيت . وبعد أن خرجن من الدير ورجعن الى دورهن بقى الاتصال بينهن وثيقا ، وذلك ما حدا بجدة مانون الى أن تقول لها (ستنسين صديقتيك حالما تتزوجين) وسنرى مقدار صحة هذه الملاحظة من جانب الجدة العجوز .

ورسائل مانون أحسن وسيلة نرى منها صورة واضحة لشباب هذه الفتاة ، فقد تحول اهتمامها بالدين الى تعشق الفلسفة ، ساعدها على ذلك عقل جبار يغلى كالمرجل ولا يستريح . وقد انتقت من بين خطابها العديدين رجلاً توهمت أنها تميل اليه ، وهو مؤلف فيلسوف يدعى لابلانشير ، ولكن سرعان ما ألقت عن نفسها هذا الميل واطرحته جانباً ، غير واجدة فيه مثلها الأعلى . وكانت جد كلفة بكتابات روسو ، وقدر لها أن تراه ، وقد وصفت درجات سلم داره (. . . كما لو كانت درجات سلم معبد) .

من هذه الرسائل نرى فى مانون فتاة متحمسة ذكية ، حية نشطة ، محبة للاطلاع ، قوية الذاكرة ، وقد أثرت وفاة أمها فى حياتها فخبا نورها قليـــلا بتأثير الصدمة والحاجة الى المال بعد ذلك .

إلا أن القدر خط صفحة جديدة فى حياتها ، فان شخصاً يكبرها بعشرين سنة تمكن من أن يكسب عطفها الدائم نحوه ومحبتها الثابتة له ، وهذا الشخص هو السيد رولان المفتش العام للصناعات ، وزفت إليه وهى فى سن السادسة والعشرين ، وانتقلت معه الى ليون .

وكان لأسرة رولان نخبة طيبة من الأصدقاء المثقفين الوطنيين الذين غالبا ما كانت تراسلهم مدام رولان زاغبة بذلك تحسس الطريق نحو المجتمع الباريسى الساطع ، فان أسعد أوقاتها هى تلك التى كانت تقضيها فى غرفة الموقد بين ابنتها الصغيرة تعلمها حياكة

ولو أمكننا أن نرى المادة المحيطة بنا ، يعنى العلم ، لم تظهر لنا كما تظهر عادة — أى جامدة ومحسوسة بل تظهر مثل المجرة كثيرة الثقوب والمسافات الشاسعة بين أجزائها . ففى داخل الذرة أماكن خالية . والدقائق قليلة متباعدة كالسيارات فى النظام الشمسى

انما الحياة فى هذه الدنيا تجربة كبيرة ، ونحن موجودون هنا لنجرب ونمتحن . ومصائر الوجود فى الابد وفى عين الخالق مفتوحة أمامنا ، وهى أبعد مما نستطيع تصوره . وليس الوجود الحاضر على هذا السيار ، سوى قصة قصيرة ، ومخاطرة وقتية ، وسفر زائل ، يتبعها ذلك السفر السامى الطويل

فلا تخف لأن الخوف قطعة من العذاب « والمحبة الكاملة تزيل خوفنا » وهذا الكون تحكمه المحبة الكاملة . وهذه هى رسالتى . فلنغن مع المرنم صاحب الزبور « سبحى الرب أيتها السموات واسجدى له »

(م . س)

قطعة من قماش وبين زوجها يدرس أوراقه على مكتبه ، على حين تطرق أذنها فرقعة النار فى الموقد وصوت الصقيع يصدم النافذة . وصفت فى رسائلها حبها الشديد لتغيير فصول السنة واختلاف مواسم الزراعة فى الحقول ، ولم يعل على حبها لفترة تقضيها وسط الطبيعة الهادئة أى حب آخر

غير أن هذا السلام لم يدم طويلا ، فان الحكومة فى فرنسا كانت سيئة فى هذا الحين ، والارستقراطية المترفة فوق القانون ، والفوضى ضاربة بجرانها على ربوع المملكة ، أما الشعب الجائع فالويل له إن نبس أحد أفراده ببنت شفة ضد النظام القائم ، وكانت تكفى اشارة بسيطة أو تلميحة سريعة لطرح المحتج فى أعماق السجون. ورمت أسرة رولان وأصدقاؤها بانفسهم فى احضان الحركة التى قصد بها اسقاط النظام الاقطاعى ومساوئه ، وأصبحت مدام رولان : هذه المرأة الجميلة الملتهبة ، روح حزب الجيروند الذى عمل على تشييد عهد الحرية على أساس معتدل

وبدأت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ وعهد الى رجال حزب الجيروند عام ١٧٩٢ بالحكم ، ولكن اعتدالهم واظهار استيائهم من مذبحة سبتمبر ورفضهم التصويت ضد إعدام الملك أتاح الفرصة لنجاح المتطرفين فقضوا على المعتدلين — منشأ الثورة ومنبعها — وصعدوا على أنقاضهم الى منصة الحكم . وفى عام ١٧٩٣ أعدم الملك ومعظم الجيرونديين وبدأ عهد الأرهاب برعاية اليعاقبة أكثر متطرفى الثورة شدة وعنفا .

عندما كانت السلطة فى يد الجيرونديين عهد الى السيد رولان بوزارة الداخلية ، فكانت زوجته هى التى تحضر أوراقه الرسمية ، وأصبحت بعد أن كانت تحرر الى أصدقائها أمثال صوفى وهنريت تراسل البابا والملك برسائل يستعين بها المؤرخ الذى يكتب عن هذا الفصل من تاريخ فرنسا ، ولو كانت مدام رولان رجلا أو لو سمح للمرأة فى ذلك الوقت بلعب دور صريح على مسرح الحيـاة العامة لاختلف تاريخ الثورة الفرنسية عما هو عليه الآن .

وقد انتقلت مدام رولان من مسكنها المتواضع الى الدار الفخمة التى كان يقطنها الوزير الخطير نكر ، ووافقتها حياتها الجديدة كل الموافقة ، الا انها لم تؤثر فى خلقها السامى وطبيعتها البسيطة . وكانت تمد السماط للوزراء جميعاً مرة كل يوم جمعة ، فاذا انصرفوا خلعت عنها ملابسها الرسمية ، وانكبت على مكتبها تعمل بجد ونشاط فائقين .

وتمتاز من الجميع بهدوئها الظاهر ، يكفى من جانبها كلمة هادئة تلقيها لتقضى بها على الاختلاف الحاد فى الآراء ، وغالباً ما أرسلت شـــعاعاً منيراً يستضىء به القوم فى نقاشهم فتحل العقـد وتفك الطلاسم .

وكثيرا ما دعاها المجلس الوطنى ليمطرها أعضاؤه وابلا من الاسئلة كانت تجيب عليها جميعاً فى اعتدال ووضوح وصراحة غير هيابة ولا وجلة ، ولم تخف قط على حياتها ، انما كان اشفاقها دائماً على وطنهـا ، وقد رأت بنظرها الثاقب وعقلها الفطن الناضج أنه ليس بين الجيرونديين رجل واحد يمكن أن يعهد اليه بأمر البلاد ، وأنه لايوجد بين اليعاقبـة المتطرفين اثنان يمكن أن يثق أحدهما بزميله .

وسرعان ما تحقق تشاؤمها عند ما تمكن اليعاقبة بقيادة مارا ودانتون وروبسبير من اسقاط الجيرونديين ، وأدانوا أسرة رولان فيمن أدين من المعتدلين ، فهرب رولان وقبض على زوجه ، ثم أخلى سبيلها ليقبض عليها مرة أخرى بعد ساعة من اخلاء سبيلها ألقيت فى أعماق السجون متهمة بأشنع التهم وأسفلها ، ولكنها فى السجن كما هو الحال فى أى مكان آخر استطاعت أن تغزو القلوب ، وصار حراسها طوع ارادتها ورهن اشارتها . ويشير صديق لها اعتاد زيارتها فى سجنها (بأنها كانت تحدثه فى شجاعة الرجل العظيم بصوت عذب كالموسيقى) الا انهـا كانت تخلو بنفسها تستند الى النافذة وتمضى الساعات الطوال . وبعد أن كانت ترى فى فرنسا مهداً للاخاء والحرية والمساواة ، أصبحت تجد فيها كابوساً ثقيلا ومجزرة يذبح فيها أبناؤها بتهمة حانق أو شكوى حاسد ، ولم تسد شهوة الدم وجشع السفاكين ما كان قائماً ليل نهار من قتل النفوس بالمقصلة والرصاص والاغراق .

وقد ذكرت فى آخر رسائلها انهـا (تحب ضوء الشمس ودارها وزوجها وابنتها المحبوبة وخادمتها الوفية) وتركت لابنتها صحفاً جمة من رسائل الحنان الأموى ملأى بالنصائح الغالية والـكتاب الآتى أحد هذه الرسائل التى كتبتها فى سجنها اليها :

(لست أدرى يا عزيزتى ان كان يسمح لى بمقابلتك أو الكتابة

اليك مرة أخرى أو لا . تذكرى أمك دائماً . وهذا أحسن ما يمكن أن أقوله لك . ولقد عهدتنى سعيدة لشعورى بتأدية الواجبات الملقاة على عاتقى ، ولاستطاعتى خدمة الذين يعانون آلام الحياة ومساعدتهم ؛ وهل الحياة إلا هذا ؟ لقد وجدتنى أذعن للقدر إذ يسوقنى الى الأسر ، ولست مجرمة أستحق هذا ، إلا أن الذكرى الطيبة والماضى الحسن والأعمال الجليلة هى كل عزائى ، وبمثلها يستطيع المرء أن يحتمل مساوئ الحياة وتقلبات القدر . ان ما أتمناه هو ألا يقدر لك مثل ما قدر لى من المشاق والمتاعب وهناك مالو استطعت اتباعه تفاديت به قسوة الحياة وحميت نفسك من مساوئها ، ألا وهو العيش المنتظم الذى لا فراغ فيه ؛ فهو حارس من كل خطر ؛ وهو حاجة تبحث عنها النفس وحكمة يسعى اليها العقل ، ليكون صاحبهما جاداً محترماً فى حياته . فكونى عند حسن ظن أبويك بك ، فقد تركاك مثلا جميلا ، ولو استطعت أن تستغلى هذا المثل للوصول الى ناحية الكمال أمكنك أن تحيى حياة نافعة) .

زارتها فى سجنها يوماً هنريت كانيت ، وطلبت اليها أن تبدل لباسها وتسرع الى الهرب ، وتبقى هى فى مكانها ، إلا أن مانون رفضت طلب صديقتها فى إباء وشمم ، قائلة لها (ولكنهم يقتلونك ان فعلت ذلك) وبعد خمسة أشهر من سجنها استدعيت للمحاكمة ، وكيلت لها التهم الشنعاء ، فوقفت تدفعها عن نفسها باكية ساخطة . وفى اليوم التالى فى ٨ نوفمبر سنة ١٧٩٣ سيقت الى المقصلة ، ولما رأت الشجاعة تخون جلادها حثته على أن يؤدى واجبه ، وقد ظهرت وهى على شفا حفرة الموت نبيلةً فى لباس أبيض ناصع يدل على طهرها . وشعرها الأسود الفاحم مرسل حتى وسطها ، ينبعث من عينيها البراقتين شعاع الشجاعة والنبل .

وبينا هى على درجات المقصلة اذ عنت لها أفكار فطلبت قرطاساً وقلماً لاثباتها ، إلا أن طلبها رفض . ولن نعرف بطبيعة الحال ماهية هذه الأفكار التى نادتها ساعة الموت فلم تتمكن من تلبيتها .

بعد أسبوع من اعدام مانون عثر رجل على جثة قائمة الى بعض الأشجار وقد امسكها بالشجرة سيف قد نفذ اليها من قلبه وعند قدمه ورقة خط عليها ما يأتى : (أنا رولان ، لم أترك فرصة تمر دون اقتناصها فى سبيل اسعاد وطنى . أقدمت على ازهاق روحى لا من خوف ولا وجل ، ولكن احتجاجاً على اعدام زوجى . فرغبت عن الحياة التى دنستها الجريمة) .

حقاً ان هذه الصورة تمثل نهاية قاسية لفصل مزعج من فصول التاريخ الانسانى .

عبد الرحمن فهمى
ليسانسيه فى الآداب

فن التصوير عند العرب

للأستاذ محمود خيرت

ضرب العرب بسهم وافر فى الأدب والاجتماع والفلسفة والسياسة والفلك والكيمياء والطب وتخطيط البلدان وغير ذلك ، فكانت مدنيتهم رائعة لم ينكرها المنصفون من علماء الغرب الذى نقلها وبنى عليها

والى جانب هذه الفنون فن الزخرفة والعربيات « arabesques » التى يقوم أساسها على نبات عرف العرب كيف يبرعون فى تعديد أوضاعه الهندسية براعة أثارت إعجاب هؤلاء العلماء الذين شهدوا لهم أيضاً بعلو كعبهم فى فن الانشاء والعمارة كما تنطق به جوامع القاهرة وقصر الحمراء بالأندلس وغيرها مما يعد من أعاجيب الآثار .

نعم ، إن الطراز العربى غير مبتكر ابتكاراً لأنهم حين هبطوا الى مصر والأندلس ووقعت عيونهم على آثار الفن البيزنطى فيهما استخلصوا منه عنصراً لطرازهم ، وحسبهم أنه مع تصويره للروح العربية جمع بين المقدرة والحسن والرشاقة .

وهكذا برهن العرب على مقدرتهم الفنية وعلى تسامحهم واحترامهم تلك الآثار فلم يعبثوا بها كما فعل « الانكوكلاست » أولئك النساك المتطرفون بآثار بيزنطة لما سيطروا على الحكم بها فى القرن التاسع وصدر القرن العاشر ، إذ قضوا على الفن المسيحى فهشموا تماثيله وشردوا فنانيه حتى قصد بعضهم الى اكس لاشابيل للخدمة فى بلاط الملك شرلمان .

تلك هى شهادة أولئك العلماء فى العرب بالنسبة لفنى الزخرفة والانشاء والعمارة ، ولكن الذى نعرض له اليوم هو ، هل زاول العرب أيضاً فن التصوير ، وهل برعوا فيه كما برعوا فى غيره ؟ وهل كان من بينهم أساتذة مهرة كالذين ظهروا فى أوروبا من عصر النهضة الى الآن ؟

أكثر الباحثين يذهبون الى أن التصوير كان محرماً على المسلمين ، وأن هناك أحاديث نبوية بهذا المعنى منها حديث : « ان أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون » .

وقبل أن نطرق هذا البحث نلفت النظر الى مبلغ تبجح الغربيين بأنهم هم المنفردون بفن التصوير والأساتذة المبرزون فيه ، لأن فن قدماء المصريين ما كان ليتجاوز مجرد التخطيط ، على حين أنهم هم الذين اهتدوا الى فكرة الظلال بأنواعها مما جعلهم يخرجون الصور ناطقة بأصولها المأخوذة عنها . ولكنها دعوى تستوقف نظر الباحث هنيهة ، لأن الفرس لم يفتهم أيضاً وضع هذه الظلال [١] وكتبهم المصورة بمختلف دور الكتب شاهدة بذلك . بل إن مما لا يصح أن يفوتنا ما جاء بكتاب كليلة ودمنة بالصفحة ٦٤ طبعة سنة ١٩٢٤ الأميرية ، وهو : « ... كالمصور الماهر الذى يصور على الحيطان صوراً كأنها خارجة وليست بخارجة ، وأخرى كأنها داخلة وليست بداخلة » مع أن هذا الكتاب ترجمه ابن المقفع عن نسخة فارسية ترجمت بدورها عن أصل هندى قديم كما يفهم مما جاء بصدر هذا الكتاب . واذن فالفضل الأول لابتكار الظلال التى هى الوسيلة كلها الى استنطاق الطبيعة ، إنما يرجع الى الشرق وحده ، لأن الوصف الذى نقلناه عن كليلة ودمنة لا يخرج عنه أحدث تعريف للرسم عند الغربيين ، وهو إيجاد أنجاد وأغوار على سطح أملس بحيث اذا مررت بيدك من فوقه لا ترى لذلك أثراً .

ولقد كان انفراد الشيعيين على ما يظهر دون السنيين بهذا الفن مما ساعد على الاعتقاد بتأثير تلك الأحاديث الشريفة وفهمها على غير حقيقتها .

وأغلب الظن أن هذه الأحاديث لم تقصد إلا التماثيل مما كان شائعاً فى الجاهلية بشيوع الوثنية وقضى الاسلام عليها لتنافرها مع أصول التوحيد . ومما يجعل هذا الفهم أقرب الى الحقيقة ما رواه المسيو ال . جاييت فى كتابه عن الفن الفارسي فى باب التصوير من أنه كان بدمشق والقاهرة وبغداد مدارس راقية خاصة بالتصوير كان يقصدها الطلاب من كل صقع ، وأنه كان هناك أساتذة بارعون يلقنونهم بها أصول هذا الفن كانوا محل إعجاب الخلفاء والسلاطين والوزراء ، وكثيراً ما زينوا لهم قصورهم بصور حائطية (Fresques) .

ويؤيد هذا ما جاء بخطط المقريزى بالصحيفة ٣١٨ من الجزء الثانى طبعة بولاق فقد قال عن جامع القرافة (جامع الأولياء فى عهده) إن : « موقعه كان يعرف فى القديم عند فتح مصر بخطة المغافر ، بنته السيدة المعزية سنة ٣٦٦ ، وهى أم المعز بالله نزار ولد المعز لدين الله على نحو بناء الجامع الأزهر ، وأن بابه الذى يدخل منه ، ذا المصاطب الكبير الاوسط ، تحت المنار العالى الذى عليه ، مصفح بالحديد الى خط المقصورة والمحراب من عدة أبواب عدتها أربعة عشر باباً مربعة مطوبة الابواب قدام كل باب قنطرة قوس على عمودى رخام ثلاثة صفوف ، وهو مزوق باللازورد والزنجفر والزنجار وأنواع الأصباغ ، وفيه مواضع مدهونة ، والسقوف مزوقة ملونة كلها ، والحنايا والعقود التى على العمد مزوقة بأنواع الاصباغ من صنعة البصريين وبنى المعلم المزوقين شيوخ الكتامى والنازوك . »

ثم قال :

« وكان قبالة الباب السابع من هذه الأبواب قنطرة قوس مزوقة فى منحنى حافتيها شاذوران مدرج بدرج وآلات سود وبيض وحمر ، وخضر وزرق وصفر ، اذا تطلع اليها من وقف فى سهم قوسها شائلاً رأسه اليها ظن أن المدرج المزوق كأنه من خشب كالمقرنص . واذا أتى الى أحد قطرى القوس نصف الدائرة ووقف

(١) وهذا وصف لايوان كسرى وصف فيه البحترى واقعة مصورة :

وكأن الجرماز من عدم الأنـــس وأخلاله بنية رمس
لو تراه علمت أن الليالى جعلت فيه مأتماً بعد عرس
وهو ينبيك عن عجائب قوم لا يشاب البيان فيهم بلبس
فاذا ما رأيت صورة أنطا كية ارتعت بين روم وفرس
والمنايا مواثل وأنوشر وان يزجى الصفوف تحت الدرفس
فى اخضرار من اللباس على أصـــفر يختال فى صبيغة ورس
وعراك الرجال بين يديه فى خفوت منهم وإغماض جرس
من مشيح يرمى بعامل رمح ومليح من السنان بترس
تصف العين أنهم جد أحيا ء لهم بينهم إشارة خرس
يغتلى فيهم اغترابى حتى تتقراهم يداى بلمس

(والجرماز العلم الكبير)

عند أول القوس منهما ورفع رأسه رأى ذلك الذى توهمه مسطحاً لانتوء فيه وهذا من أنخر الصنائع عند المزوقين . وكانت هذه القنطرة من صنعة بنى المعلم ، وكان الصناع يأتون اليها ليعملوا مثلها فما يقدرون . وقد جرى مثل ذلك للقصير وابن عزيز فى أيام البازورى سيد الوزراء الحسن بن على بن عبد الرحمن، وكان كثيرا ما يحرض بينهما ويغرى بعضهما على بعض لأنه كان أحب ما اليه كتاب مصور ، أو النظر الى صورة أو تزويق . ولما استدعى ابن عزيز من العراق أفسده ، وكان قد أتى به فى محاربة القصير ، لان القصير قد يشتط فى أجرته ويلحقه عجب فى صنعته وهو حقيق بذلك لانه فى عمل الصورة كابن مقلة فى الخط . وابن عزيز كابن البواب وقد أمعن ذلك فى الكتاب المؤلف فيه ، وهو طبقات المصورين المنعوت بضوء النبراس وأنس الجلاس فى أخبار المزوقين من الناس

وكان البازورى قد أحضر بمجلسه القصير وابن عزيز ، فقال عزيز أنا أصور صورة اذا رآها الناظر ظن أنها خارجة من الحائط ، فقال القصير ، ولكن أنا أصورها فاذا نظرها الناظر ظن أنها داخلة فى الحائط ، فقال هذا عجب ، وأمرهما أن يصنعا ما وعدا به فصورا صورة راقصتين فى صورة حنيتين مدهونتين متقابلتين ، هذه ترى كأنها داخلة فى صورة الحنية ، وتلك ترى كأنها خارجة من صورة الحنية . . . . فاستحسن البازورى ذلك ، وخلع عليهما ووهبهما كثيراً من الذهب .

وكان بدار النعمان بالقرافة من عمل الكتامى صورة يوسف عليه السلام فى الجب وهو عريان ، والجب كله أسود اذا نظره الانسان ظن أن جسمه باب قد دهن بلون الجب . وكان هذا الجامع من محاسن البناء . وكان بنو الجوهرى يعظون بهذا الجامع على كرسى فى الثلاثة أشهر فتمر لهم مجالس بهجة تروق وتشوق . »

وقد أشار أيضاً الى اللوح الحائطية التى من تصوير أبى بكر المحتسب سنة ٣٦٥ فى أول عهد الدولة الفاطمية ، وكذلك الى صور احمد بن يوسف المشهور بالأوسطى (أى الفنان) وكذلك صور محمد بن محمود . وانه كان فى عهد السلطان بيبرس رجل اسمه ابن دايا كان يشتغل بالسياسة والتصوير ، حتى أنه لما عين بأمر السلطان سفيراً لدى بركه الأمير المغولى حمل اليه ثلاث لوحات من عمله تمثل مواسم الحج بمكة

نخرج من رواية المقريزى هذه بأن فن التصوير لم يكن متداولاً عند الفرس وحدهم ، بل عند العرب أيضاً ، وأن أساتذته كانوا مهرة تدل آثارهم كالشازوران الذى بأحد طرفى القنطرة والراقصتين ، على المامهم بفن المنظور والتأليف « Composition » كما فى صورة يوسف عليه السلام وهو فى الجب . وان هؤلاء المصورين وان كانت أكثر آثارهم حائطية ، الا أنهم فكروا أيضاً فى التصوير فوق لوحات مستقلة كما رأينا عند الكلام على ابن دايا ، وان هؤلاء الفنانين كانت لهم مكانة فى نفوس السلاطين والوزراء ، كما أن العناية بآثارهم بلغت حداً بعيداً ، حتى أنها كانت تزين بها الجوامع مما يدل على أنهم كانوا لا يأخذون بحرفية الاحاديث ، ولكن بالغرض منها

أما كتاب ضوء النبراس الذى بحث فى سيرة أولئك المصورين فلا ندرى اذا كان من وضع المقريزى أو وضع غيره ، لأن ذلك غير واضح فى عبارته ، وعلى كل حال فان فقدان هذا الكتاب مما يدعو الى الأسف الشديد . (١)

محمود خيرت
بقسم قضايا المالية

(١) لقد تفضل حضرة صاحب السعادة شيخ العروبة احمد زكى باشا بمساعدتى فى هذا البحث اذ لولاه لما اهتديت الى موضع هذا الموضوع من خطط المقريزى

الموسيقى الشرقية

بقلم منير الجم الطرابلسي

— ١ —

اطلعت بالأمس على مقالين ممتعين فى « الرسالة » الغراء حول فن الموسيقى: أحدهما للأستاذ قدرى حافظ طوقان ، والآخر للأستاذ عبد العزيز البشرى ، فسرنى منهما أن يطريا فن الموسيقى العربية ، ويتغنيا بعبقرية من اشتغلوا بهذا الفن الجميل من قدامى ومحدثين ؛ أقول وأؤكد القول : بأننى جد مغتبط بمقاليهما كعزاء للفن المغبون . . .

ولقد رغبت أن أشاركهما فيما ابدياه من العواطف السامية نحو موسيقانا ، فكتبت فى مجالى هذه نبذة عامة عن تطور الموسيقى الشرقية فى العهد الأخير ، وما طرأ عليها من الاصلاح والتجديد ، كموسيقى يغار على الفن ، ويؤدى نحوه الواجب المحتوم

— ٢ —

كانت الموسيقى فى جميع العصور مقياساً لروحية الأمم ، ورمزاً لأخلاقها ورقة طباعها ، واذا كان للشعر والادب والنحت والتصوير وغيرها من الفنون منزلة سامية فى النفوس ، فللموسيقى رتبة أسمى وأعلى ، واذا كان لهذه الفنون أياد بيضاء على تهذيب الطباع الانسانية ، وصقل عواطفها ، فأحر بالموسيقى أن تنال السبق فى هذا المضمار ، اذ تتعدى ذلك الى شفاء بعض الأمراض ، وطرد الهموم من النفوس ، ومعالجة الحيوان والتلطيف من شراسته ووحشيته ، فاسمها مقرون على الدوام بالروعة والاعتبار . . .

نشأت الموسيقى فى دورها الأول مع الانسان الساذج المقلد لمظاهر الطبيعة الفاتنة ، فاندفع بميله الغريزى ، وعواطفه الكامنة لاتقان هذا التقليد المستحب اللذيذ ، حتى انقلب على مر العصور الى فن جميل له مكانته بين الفنون

عنيت الأمم الغابرة من مصريين ويونان ورومان ، وصينيين وهنود ويابان وفرس وعرب بالموسيقى عناية قصوى جعلتها تتطور فى أحضانها بخفة ولباقة ، حتى وصلت الينا بحلة قشيبة ؛ وما أن افترق الشرق عن الغرب حتى كانت موسيقى الشرق غير موسيقى الغرب ؛ طارت الاولى فى سماء الروح والعواطف ، ثم ما لبثت أن هبطت قليلا ، فلا هى بالهابطة ولا هى بالصاعدة ، متقلقلة بين الصعود والهبوط ؛ وأما الثانية فلا تزال جادة فى طريق المجد ، تقطع مراحل وأشواطاً من التقدم ، وغدت لدى الذوق الغربى أسمى وأشهى ما يلذ للسمع ويستطاب

— ٣ —

بعد أن انتقلت الموسيقى الى العرب برعوا فيها ، وجددوا ما بلى منها ، وبقيت فى عهدهم زاهية ببغداد ومصر والأندلس وغيرها من البلاد العربية حتى دالت دولة العرب ، فقبعت فى زاوية الاهمال حقبة من الزمن ، تترقب من ينتشلها من وهدتها ، ويقيلها من عثارها بعد ذاك العز والمجد ، حتى قيض لها منذ قرن تقريباً من يذود عن حقها المهضوم ويرفع من شأنها ولو قليلا أمثال الأساتذة المرحومين : عبده الحمولى ، والشيخ يوسف المنيلاوى ، ومحمد عثمان ، وعبدالحى حلمى ، والشيخ سلامه حجازى الذى نبغ فى الغناء المسرحى وانفرد به ، وكذلك احمد الليثى ، وأمين بنايه ، وابراهيم سهلون ، وغيرهم من عظماء الفن ، ومشاهير الملحنين والعازفين الذين نهضوا بالموسيقى العربية نهضة مباركة لا بأس بها ، وخاصة فى قسم الغناء والانشاد ؛ ثم كان منهم النابغة المرحوم الشيخ سيد درويش الذى يعد من المجددين ، واليه يرجع الفضل فى تعديل فن الغناء العربى تعديلا لطيفا ، وهو الذى عنى بنغمة « الحجاز كار كردى » التركية ، واستعملها فى كثير من أغانيه وأدواره الخالدة ، فزاد الفن بذلك عذوبة ورقة ، وكان بحق آية فى العبقرية والنبوغ . . . وأخيراً جاء نابغتنا الشباب الأستاذ محمد عبد الوهاب وأمثاله ، وهو مجدد بكل ما فى الجدة من معنى ، وقد أضاف الى الفن ما أضاف من عبقرية فذة تتجدد ، ونبوغ مضطرم يزكو ، ولنا كبير أمل بجهوده الفنية التى ستسمو إن شاء الله بالموسيقى الى أقصى مراتب النجاح .

مازال الأستاذ محمد عبدالوهاب يخدم الفن خدمة يشكر عليها ويثاب ، فجدد منه أصولاً ، وأصلح فيه أنواعا ، ثم أضاف اليه أقساماً طريفة من الأنغام الأفرنجية ، الى غير ذلك من التجديد

الموافق للذوق الشرقى والعربى ، وغدت اسطوانات أغانيـه تسمع حتى فى بلاد أوربا بكل إعجاب ، يشاركه فى هذا التجديد نخبة صالحة من غواة الفن ، وجمعيات ونواد فنية أسست فى مصر وسوريا وغيرها ، يجاهدون جميعاً فى تعزيز الموسيقى الشرقية لتستعيد مكانتها الأولى ، ويكون لها الصدر فى الموسيقى العالمية

— ٤ —

هذا فى مصر وسوريا وبعض البلاد العربية الأخرى ، وأما فى البلاد التركية ، فقد وجدت الموسيقى الشرقية منتجعاً خصبا ، فتطورت فى سنين قلائل ، حتى لتضاهى كل موسيقى عالية ، والحق يقال : ان للأتراك فضلا كبيراً على هذا الفن ، فقد اخترعوا أنغاماً لم تكن تعرف من قبل ، وحسنوها وهذبوا كثيراً من الألحان ، وجعلوا فى موسيقاهم أنواعا منوعة من القطع الفنية الخالدة ، ونبغ لديهم عظماء أفذاذ ، أمثال الأساتذة المرحومين : حافظ ، وعثمان ، وقره قاض القديم ، ووسيلاكى المغنى المشهور ، وعثمان بك ، وعاصم بك ، والطنبورى جيل بك ، و « الكمنجاتى » طاتيوس ، وواسلاكى ، وغيرهم ممن أكسبوا الفن كنوزاً ثمينة لا تقدر ، وقد جاء من بعدهم مجددون معاصرون فأدخلوا تحسينات جمة عليه ، ولقحوا بعض أقسامه وأجزائه بشىء من الأنغام الافرنجية اللطيفة ، كما أنهم أضافوا فن تأليف الأصوات (Harmonie) على فرع من موسيقاهم ، ولاسيما دار الفنون والموسيقى فى الأستانة ، التى تعد فى طليعة المجاهدين فى سبيل ترقية الموسيقى الشرقية وتعزيزها .

وأما فى بلاد فارس والهند والصين وغيرها ، فالموسيقى مازالت مهملة أو كالمهملة ، الا فى بلاد اليابان وشرق الصين فآخذة فى التقدم السريع ، غير أن الموسيقى الغربية طغت عليها ، وتكاد تكون معها فى صراع عنيف ، حيث لكل منهما أحزاب ومشايعون ، والغريب فى الموسيقى الشرقية هناك أنها تكاد تضارع الأنغام العربية والتركية فى اللهجة والأصول ، فقد ذكر صديق لى أنه كان منذ بضع سنوات فى بلدة شنغاى من أعمال الصين الشرقية ، وبينما كان ماراً فى حى صينى سمع انغاماً عربية من مقام « الحجاز » فظن لأول وهلة أن العازف على الآلة ربما كان عربياً ، وفرح لهذه المصادفة ، ورغب أن يجتمع به ، ولشد ما كانت دهشته حينما وجده صينياً عريقاً فى الصينية ، لايدرى من أمر العرب شيئاً ، مما يدل على أن لايحاء الشرق على سكانه فى كل صقع أثره الشديد حتى بموسيقاه العذبة .

— ٥ —

يعيب الغربيون موسيقانا بالجمود والتشابه والتكرار ، ويتهموننا بقلة الأنواع الموسيقية ، وعدم تأليف الاصوات ، وادماجها فى القطعة الموسيقية جملة واحدة (Harmonie) ؛ ولئن كان هذا النقص معيباً فى موسيقانا ، فان قليلاً من الجهد والعناية يذهب به ، وانى لأرى أن هذا النقص الذى نعنيه لم يحصل من التهاون والاهمال ، بل هى طبيعة الشرق الهادىء توحى لموسيقاه ألطف الانغام الفردية العذبة .

اننى لا أنكر على الغرب محسناته فى موسيقاه ، كلا ، ولا أنكر عليه التجديد الفنى الذى أضافه عليها ، فجعلها فى مراتب سامية تفوق حد الابداع ، كلا ، ولا أنكر عليه أيضاً استفادة الموسيقى الشرقية والعربية من هذا الرقى والتجديد ، ولكن ذلك لا يمنعنى من الجهر بجمال الموسيقى الشرقية اللطيفة اذا ما بذلنا فى سبيلها جهداً ومثابرة واخلاصاً ، ولاسيما وهى العذبة بانغامها ، الزاخرة بألحانها ، الطافحة باسمى العواطف والشعور . . !

— ٦ —

إننا اذا دققنا فى الأنواع الموسيقية لدينا وجدناها ضئيلة جداً بالنسبة الى غزارتها فى الموسيقى الغربية ، يؤيد ما يعيبنا به الغربيون وهى على التقريب كما يلى : الموشحة ، الليالى ، الدور ، القصيدة ، الغناء المسرحى ، الطقطوقة ، المواليا .

فالموشحة : — قطعة غنائية من أرقى أنواع الغناء ، اذا ما كانت متينة اللغة والمعنى ، وليس كما يمسخها بعض المغنين بلغة ركيكة ، وألفاظ سمجة ، وتطويل جاف ممل . . .

الليالى : — « ياليل يا عين » فهذه لا حدود لها ، تابعة لشعور المغنى أو العازف ، وسمو إحساسه فى الأنغام ، وقدرته على الانتقال بينها بلباقة وأصول ، حتى ينتهى الى ما بدأ منه ، واذا كانت لموسيقانا مزية تنفرد بها ، فتكون من هذه الناحية ، إذ يعجز غيرها عن ترديد « الليالى » الالهامية ، وعزف «التقاسيم» الروحية ارتجالاً ، مالم تكن مسجلة ومخطوطة ، أو محفوظة من سابق عهد .

الدور : — قطعة غنائية مركبة من جزئين : الأول يسمى « مذهب » ، والثانى (دور) وفى الأخير تتعدد الأنغام اللذيذة المثيرة للطرب والسرور ، وما زالت الأدوار لها مكانتها فى الموسيقى العربية ، وهى آخذة فى التقدم والرقى ، من متانة فى اللفظ ، وطرافة فى النغم ، مما يجعلها فى الصف الأول .

القصيدة : — قطعة شعرية تنشد بألحان معينة ، وتكون عذبة مطربة اذا كانت محتوية على معان سامية وأنغام مؤتلفة ، وقد أصبحت فى الآونة الأخيرة من الأنواع الراقية نظماً ونغماً ، يعالجها الشعراء والموسيقيون بكل همة ونشاط .

الغناء المسرحى : — قطعة غنائية تمثيلية ، لها أصول خاصة فى الغناء ، بحيث تتناسب الأنغام مع معانى كل جزء منها ، وتوافق الغرض المقصود ؛ فالعتاب — مثلاً — فى بيت شعرى له نغم يناسبه ، وكذا الاستعطاف له لحن يوافقه ، وتزيد بذلك وضوحاً وتأثيراً فى النفوس ؛ وقد عنى الشعراء والموسيقيون بهذا الضرب من الغناء ، فنظموا ولحنوا قطعاً تناسب المقام أمثال المرحوم أمير الشعراء شوقى بك ، والأستاذ محمد عبد الوهاب ، وغيرهما من غواة الفن ، وهواته ومجدديه .

الطقطوقة : — قطعة غنائية حاوية على مذهب ودور بسيط ، فالمذهب هو القطعة الأولى منها اللازمة للدور فى نهاية كل جزء من أجزائه ، ولغتها على الغالب عامية ، وهذا هو موضع العيب الفاضح فيها .

المواليا : — وهو فى نظرى أشد جموداً من غيره ، حيث الركاكة فى الألفاظ ، والترادف فى المعنى الواحد للعشق والهيام المبتذل ، ولا يخرج عن كونه أنيناً متواصلاً ، ونواحاً مؤلماً ، لا أثر للحياة فيه ، وموجباً للحزن والأسف الشديد ؛ ولدينا اليوم أيضاً نوع اسمه « المنولوج » أو « الغناء الوجدانى » الذى اقتبس أخيراً من موسيقى الغرب ، وقد برع فيه الأستاذ محمد عبد الوهاب وأبدع فيه أيما إبداع .

— ٧ —

إن الأصوات تختلف فى سيرها أثناء العزف أو الغناء ، فتكون أنواعاً متنوعة يسمى كل منها نغماً ، فالأنواع الموسيقية الآنفة الذكر يتركب مجموعها اليوم من أنغام كثيرة اختصر على أهمها :

(١) نغمات السيكاه (٢) نغمات العشيران (٣) نغمات العجم عشيران : — أوج — عراق (٤) نغمات الراست : راست ، نهاوند ، حجاز كار ، حجاز كار كردى (٥) نغمات الديكاه : البيات ، حجاز ، صبا ، عشاق ، بيات شورى (٦) سيكاه (٧) جهاركاه (٨) حسينى ، الى غير ذلك من الأنغام الكثيرة المستعملة فى الموسيقى العربية .

وأما الأنواع الموسيقية لدى الأتراك فقريبة الشبه من العربية غير أن الأنغام لديهم أكثر وأغزر ، زادت فى مادة الموسيقى الشرقية زيادة تذكر ، وخاصة عنايتهم الفائقة بتأليف القطع الفنية التى تعزف على الآلات ، فهى بحق قطع خالدة جديرة بالأكبار والأعظام ؛ ولقد استفادت الموسيقى العربية من هذه القطع الفنية الطريفة والأنغام الاضافية العذبة ، ما جعلها مدينة الى الموسيقى التركية مادة ومعنى ، والأنواع المعروفة لدينا من هذه المعزوفات الفنيـة هى : البشرف ، والسماعى ، والدولاب فالبشرف : قطعـة فنية غزيرة بالأنغام المنسـجمة ، مركبة من جزئين أو ثلاثة أجزاء أو أربعة ، والجزء الواحد يسمى (خانه) ، تعزف على الآلات الشرقية بواسطة (النوته) الرموز الاصطلاحية ضمن قوانين وأوزان محكمة كأوزان الشعر لا يمكن للعازف أن يشذ أو يخرج عنها ، ويكون عزفها عادة أبطأ من (السماعى) ، وهى على أنواع من الوزن والقياس والعزف ، لا مجال لذكرها الآن .

وأما « السماعى » فهو كالبشرف فى أنغامه وتركيبه ، غير أنه أصغر منه فى مجموعه وأسرع فى العزف ، وله أوزان ومقاييس تختلف عنه ، وأما « الدولاب » فهو قطعة فنية صغيرة بأوزان معلومة ، تعزف عادة قبل الشروع فى الغناء تمهيداً للنغم المنوى التغنى به ؛ وتوجد غير ذلك ضروب مختلفة ، مقتبسة أصولها من الضرب : فى الرقص والتمثيل والوصف . . . الخ كالفالس — مثلاً — ، والبولكة ، والمارش من القطع الفنية المصورة لنوازع النفس ، ومظاهر الطبيعة الفاتنة ، ووحى جمالها السامى تصويراً دقيقاً موافقاً بعد تعديلها للذوق الشرقى ؛ ومن جملة ما اقتبس من الموسيقى الغربية : الرموز أو العلامات الموسيقية (نوته) التى

تكتب بها المعزوفات الفنية ، نخدمت الموسيقى الشرقية خدمة جلى ، وكان لها الأثر الظاهر فى تقدمها وحفظ كنوزها من الفناء ...

— ٨ —

وأما الآلات المستعملة لدينا فى الموسيقى الشرقية عامة فهى : العود ، والقانون ، والطنبور ، و « الكمان » والناى ، والمزمار ، والدف ؛ والطبلة ، ويوجد آلات شرقية وعربية غير هذه كثيرة ولكنها مهملة ، أو غير صالحة لعزف القطع الفنية ؛ ثم أضيفت آلات حديثة من الموسيقى الغربية خاصة لعزف قطع « الهارمونى » زيادة فى التحلية عند اللزوم ، أو لعزف القطع الحماسية .... فى المعسكرات الحربية كالبيانو (Piano) والكمان الاكبر (Contrebasse) والساكسوفون (Saxophone) والفيفرا (Fifre) الى غير ذلك من الآلات الوترية ، والنفخية والهوائية ، التى ليس لها — ويا للأسف اسماء عربية حتى اليوم ! !

وعلى هذا فالموسيقى الشرقية على العموم لا تزال بحاجة الى جهود جبارة ، وعزائم صادقة ، وهى فى دور نهضة مباركة تبشرنا بمستقبل قريب باهر ؟

حماه : **منير الجم الطرابلسى**

٦ — بين المعرى ودانتى

فى رسالة الغفران والكوميدية المقدسة

بقلم محمود احمد النشوى

الوطنية لدى الشاعرين

كأنى بالمعرى يختص رسالة غفرانه بخيال النعيم والجحيم . ومساجلة الشعراء والأدباء ، والنحاة والرواة . ثم بالرد على ابن القارح والحديث عن بشار والمتنبى وصالح بن عبد القدوس والحلاج والصناديق وغيرهم من المتألهين والمتزندقين مما بدأه ابن القارح بالحديث عنهم فى رسالته . فلم يكن فى كل مواقف (رسالة الغفران) ما يثير فى نفسه الحنين الى الوطن ، ولو أن موقفاً من مواقف رسالته ذكره بالوطنية أو تعمد هو أن يخلق المواقف فى تضاعيف كلامه للحديث عن الوطن وآلامه كما كان يفعل دانتى لأرانا ضروباً من الحماس للوطن والتفانى فى سبيله ...

المعرى رجل يريد أن يداعب وأن يسخر . يريد أن يذكر للناس غريب اللغة ونحوها وعروضها . ثم هو يخاطب صديقاً له فلم يكن ثمت مجال لذكر الوطن أو الحديث عن الوطنية . ولكن دانتى كان أهم أغراضه فى رسالته بكاء الوطن . وإثارة الحمية فى النفوس للأخذ بناصر الشعب الذى تمزقت أوصاله ، ولعبت به الحروب الأهلية شنيع الألاعيب . فكنا نتلمس الوطنية فى كل خطوة من خطوات دانتى .. ونفقد ذلك فى رسالة الغفران. فهل ضعفت نزعة الوطنية عند المعرى ؟ ألم يطرب للمعرة والشآم ولتلك الربا والبطاح ؟ لقد كان أبو العلاء يطرب لدياره وبلاده . وكان مغرماً أشد الغرام بوطنه ومنبته . فنحن نراه يكره الخلود ويشيح عنه بوجهه ان كان مع الخلود انفراده عن أهله ووطنه . ثم هو يسخط على السحائب ان اختصته بغيثها ولم تهطل على كل بلاده تبل ثراها وتحيى مواتها فيقول :

ولو أنى حبيت الخلد فردا لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا نزلت على ولا بأرضى سحائب ليس تنتظم البلادا

ثم يتمنى النعيم لوطنه وان فاته نعيمه . وتنزع نفسه أن يعود لبلاده وان كان فى يوم الحشر ، ويوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت فيقول :

فيا وطنى ان فاتنى بك سابق
من الدهر فلينعم لساكنك البال
فان أستطع فى الحشر آتك زائراً
وهيهات — لى يوم القيامة أشغال

ثم نراه يقيم فى بغداد والكرخ ، وبين الرصافة والجسر ، تلك التى شفه الحنين اليها منذ نعومة أظفاره . وكان يتكلف بها فى شرخ الشباب ، فحققت له الكهولة أمنيته . قال :

كلفنا بالعراق ونحن شرخ فلم نلمم به إلا كهولا

بيد أنه لم تكد تمر عليه بضع ليال حتى حن لوطنه وتمنى قطرة من ماء المعرة يطفئ بها ظمأه فقال :

فيا برق ليس الكرخ دارى وانما
رمانى اليه الدهر منذ ليال

فهل فيك من ماء المعرة قطرة

تغيث بها ظمآن ليس بسال ؟

لقد كان أبو العلاء يذكر وطنه كلما لمع السراب إبان الظهيرة وكلما جن عليه الليل واحتوته الظلمات ، ويستعذب ماء بلاده وان كان آسناً . عن ماء الكرخ وان كان كالصهباء . فيقول :

اذا جن ليلى جن لبى وزائد

خفوق فؤادى كلما خفق الآل(١)

وماء بلادى كان أنجع مشرباً

ولوأن ماء الكرخ صهباء جريال(٢)

ولم يكف المعرى أن يصدح بذكر بلاده وحده ، بل أشرك معه نياقه تلك التى تمنت قويقا(٣) والصراة(٤) حيالها . والتى كانت تطرب لضوء بارق الشام وان تعالى عن مستوى نظرها حتى ليسرها أن تقطع رؤوسها وترفع فوق أسنة الرماح لتشيم بارق الوطن ، والتى كانت تتلو زبوراً فى الحنين اليه ، مترنمة بقصائد أودعتها كل أشواقها لديارها فقال :

تلون زبوراً فى الحنين منزلا عليهن فيه الصبر غير حلال
وأنشدن من شعر المطايا قصيدة وأودعنها فى الشوق كل مقال

. . ولقد كان المعرى يستطيب الحديث عن بغداد وعما يحف بها من المشاهد . فيقول :

هات الحديث عن الزوراء(٥) أو هيتا(٦)

وموقد النار لا تكرى(٧) بتكريتا(٨)

ويجعل حفظ عهود أهلها من صلواته فيقول :

أعد من صلواتى حفظ عهدكم ان الصلاة كتاب كان موقوتا

ويتمنى أن تكون العراق تربته . وبها منيته . فيقول :

وكان اختيارى أن أموت لديكم حميداً فما ألفيت ذلك فى الوسع
فليت حمامى حم لى فى بلادكم وحالت رماى فى رياحكم المسع(٩)

وجعل الاماء الوكع من بغداد أفصح من فصحاء البادية طبعوا على البيان واللسن . فقال :

(١) السراب (٢) صبغ أحمر أى صهباء محمرة اللون
(٣) قويق نهر على باب حلب (٤) نهر ببغداد
(٥) بغداد (٦ — ٨) ناحيتان من نواحى بغداد
(٧) لا تضعف نارها ضعف من أخذ الكرى بمعاقد جفنيه
(٩) ريح الشمال

وما الفصحاء الصيد والبدو دارها

بأفصح قولاً من إمائكم الوكع(١)

وتمنى أن يأتى على ما فى دجلة من ماء شرباً وجرعاً ليطفىء غلة حنينه نحو العراق فقال :

ألا زودونى شربة ولو اننى قدرت إذا أفنيت دجلة بالجرع

ويرجو أن يعود الى بغداد والكرخ ، والرصافة والجسر ، وألا يكون سيره عن ديارهم كرأى الملحد لا يرجو معادا ولا ينتظر إيابا للحياة ، بل رأى المؤمن يثق بالرجعى فيقول :

فلا كان سيرى عنكم رأى ملحد

يقول بيأس من معاد ومرجع

ثم يألم من الليالى التى تضن عليه بالرجوع الى بغداد ، فيقول :

أظن الليالى . وهى خود غوادر بردى الى بغداد ضيقة الذرع

ثم يدعو بالسلامة والنجاة لعارض تحدوه بوارقه يؤم الكرخ فيقول :

يا عارضا راح تحدوه بوارقه للكرخ سلمت من غيث ونجيتا

ثم يستسقى لدجلة ويفى بعهده فيحرم على نفسه شرب مياه الأنهار من بعده كما حرم طالوت على قومه الشرب من النهر الذى ابتلاهم به ربهم فقال : إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى . وذلك حين يقول أبو العلاء

سقيا لدجلة والدنيا مفرقة حتى يعود اجتماع النجم تشتيتا
وبعدها لا أريد الشرب من نهر كأنما أنا من أصحاب طالوتا

ذلك هو طرب المعرى للعراق وتعلقه بدجلة ، فهل أنساه حب المعرة نعيم بغداد ؟ وهل أنساه حب الشام حب العراق ؟ كلا ! لقد كانت لدى المعرى وطنية يراها فى كل شىء من حوله حتى فى النياق تتلو زبور الوطنية . وانجيل الشوق اليها ، وإن لم يذكر ذلك فى رسالة غفرانه ، ولم يتخيل عذاباً أليما لخائنى أوطانهم كما تخيل دانتى الذى افتن فى وصف هذا الصنف من الناس وتخير لهم أسفل دركات الجحيم . وأشدها هولاً وإيلاما .

وموعدنا بالحديث عن وطنية دانتى العدد القادم

يتبع **محمود احمد النشوى**

(١) جمع وكعاء . وهى الحمقاء

أعيان القرن الرابع عشر

للعـلامة المغفور له أحمد باشا تيمور

مقدمة بقلم الأستاذ احمد أمين

أهبت فى مقال سابق بالرسالة ، الى الشيوخ والشبان أن يجدوا فى تقييد ما عرف من العصر السابق لعصرنا من ترجمة لرجاله ، وتدوين لأحداثه ، وأشرت الى أن كثيرين من عظماء شيوخنا أمثال أستاذنا أحمد لطفى السيد بك ، والأستاذ ابراهيم الهلباوى بك ، والسيد محمد الببلاوى ، وسعادة احمد زكى باشا ، وفضيلة الشيخ محمد بخيت ، والأستاذ الشيخ عبـد الوهاب النجار ، والصحفى العجوز وأمثالهم ، قد شاهدوا من عظماء الناس فى مصر ، ووقعت لهم من الحوادث ، ومر أمامهم من المناظر ما لو دون لكان ثروة لا تقدر ، ولكان حلقة اتصال بين ما دونه المؤرخون قبلنا كالجبرتى ، وما يراه جيلنا . وقلت إن فى نفوسهم كثيراً من المعلومات تضىء السبيل للجيل الناشىء ، وان من الخسارة العظمى أن نسكت عن تدوينها ، وألا نسرع فى تقييدها ، فعلى هؤلاء السادة أن يدونوا فى ذلك مذكراتهم ، وعلى الشبان أن يلحوا فى رجائهم ، وأن يستملوهم ما فى ذكرياتهم ، ضنا بتاريخ أمتهم ، وحرصاً على فائدة الجيل المقبل

وقد سرنا أن يقوم صاحب السعادة احمد شفيق باشا بنشر مذكراته ، وفيها كثير من المعلومات القيمة التى تلقى نوراً على تاريخ الجيل الماضى ؛ وحبذا لو نحا نحوه بقية رجالاتنا ، فيكملوا النواحى الأخرى الاجتماعية التى لم يتصل بها شفيق باشا ، فكل عظيم من هؤلاء العظماء كانت له نواح اجتماعية خاصة هو بها أكثر علماً وأوسع معرفة .

ويظهر أن هذه الفكرة نفسها كانت عند المرحوم احمد تيمور باشا ، فقد بدأ بترجمة رجال القرن الرابع عشر ، ولكن مع الأسف الشديد لم يتمه ، وقد طلبت من صديقى الاستاذ محمود تيمور أن يتفضل فيسمح لى بالاطلاع على مادونه فى ذلك المرحوم والده ، فقبل رجائى وأعارنى الجزء الخاص بذلك — فاذا هو مجلد قد دون فيه بخط المؤلف اثنتان وسبعون صفحة ، وقد ترجم فيها لأربعة وعشرين رجلاً من أعيان القرن الرابع عشر الهجرى باعتبار الوفاة ، وان كان أكثر حياتهم فى القرن الثالث عشر

وأكثر من ترجم لهم المؤلف من الأدباء كعبد الله نديم والشيخ شهاب ، والشيخ على الليثى ، أو من العلماء كالشيخ الأشمونى والشيخ المهدى العباسى ، والشيخ حسن الطويل ، والشيخ أبى خطوة ، والشيخ حسونة ، لأن المؤلف رحمه الله كانت حياته حياة علم وأدب ، فعنى بمن تتصل بهم حياته ، وقد ترجم أحيانا لرجال السياسة كسلطان باشا ، والغازى احمد مختار باشا

وقد أفاض المؤلف فى بعض التراجم فخرجت كاملة مستوفاة كترجمة عبد الله نديم وسلطان باشا ، وبعضها قاصرة كترجمة الغازى مختار باشا ، وكل التراجم — مع ذلك — ذخيرة أدبية وتاريخية هامة ، وفيها من المعلومات مالا نجده فى سواها ، ومن من المؤلف أعلم برجال هذا العصر وشيوخه ؟

من أجل هذا اقترحت على صديقى الاستاذ الزيات أن تنشر هذه التراجم تباعاً فى الرسالة حتى ينتفع بها جمهور القراء — ولا يفوتنى أن أنبه أن أربعا من هذه التراجم الاربع والعشرين قد نشرت فى مجلة الهلال الغراء ، ولكنى لا أرى بأساً من اعادة نشرها حتى تكون المجموعة عند قراء الرسالة كاملة .

احمد أمين

* * *

عبد الله نديم افندى

هو عبد الله بن مصباح بن ابراهيم ، الأديب الألمعى ، والخطيب المفوه ، نادرة عصره ، وأعجوبة دهره . ولد أبوه ببلدة الطيبة بمديرية الشرقية فى شهر ذى الحجة سنة ١٢٣٤ هـ ثم انتقل الى ثغر الاسكندرية ، فكان فى مبتدا أمره نجاراً للسفن بدار الصناعة ، ثم اتخذ له مخبزاً لصنع الخبز ، ومات بالقاهرة فى ٤ رجب سنة ١٣١٠ . وولد المترجم بالثغر المذكور فى عاشر ذى الحجة سنة ١٢٦١ . ونشأ فى قلة من العيش ، ومالت نفسه الى الأدب ، فاشتغل به واسترشد من أهله وطالع كتبه ، وحضر دروس الشيوخ بمسجد الشيخ ابراهيم باشا . وكان قليل الاعتناء بالطلب ، غير مواظب على الدرس ،

إلا أن الله وهبه ملكة عجيبة وذكاء مفرطاً ، فبرع فى الفنون الأدبية ، وكتب وترسل ، ونظم الشعر والزجل ، وطارح الاخوان وناظر الأقران . ثم بدا له أن يتعلم صناعة للكسب ، فتعلم فن الاشارات البرقية ، واستخدم فى مكتب البرق بينها العسل ، ثم نقل الى مكتب القصر العالى ، سكن والدة الخديو أيام ولاية ابنها اسماعيل باشا ، وبقى به مدة عرف فيها كثيراً من أدباء القاهرة وشعرائها ، مثل الأمير محمود سامى باشا البارودى ، ومحمود افندى صفوت الساعاتى ، والشيخ احمد وهبى . ثم غضب عليه خليل أغا ، أغا القصر ، وكان فى سطوة لم يبلغها كافور الأخشيدى، فأمر بضربه وفصله . فضاقت به الحيل ورقت حاله ، حتى توصل الى الشيخ أبى سعدة عمدة بداوى بمديرية الدقهلية ، وأقام عنده يقرئ أولاده ، ثم تشاحنا وافترقا على بغضاء . واتصل بالسيد محمود الغرقاوى ، أحد أعيان التجار بالمنصورة فأحسن منزله، وفتح له حانوتاً لبيع المناديل وما أشبهها . فكانت نهاية أمره أن بدد المكسب ورأس المال ، وجعل يجوب البلاد وافداً على أكابرها ، فيكرمون وفادته ويهشون لمقدمه ، لما رزقه من طلاقة اللسان ، وخفة الروح ، وسرعة الخاطر فى النظم والنثر ، فيطوف ما يطوف ثم يأوى إلى دار الغرقاوى بالمنصورة ، الى أن ورد طندتا سنة ١٢٩٣ ، واتصل بشاهين باشا كنج مفتش الوجه البحرى إذ ذاك ، ولاتصاله به سبب لا بأس من ذكره : وهو ان الباشا المذكور كان بينه وبين الشيخ محمد الجندى أحد العلماء بالمسجد الأحمدى صحبة وتزاور ، وكان الشيخ يحب الغناء ويطرب له ، ولذلك كان يستحضر فى حلاقاً حسن الصوت ليغنى له فى داره ، فأمره مرة أن يغنى بحضرة الباشا ، فغنى بقول المترجم :

سلوه عن الأرواح فهى ملاعبه	وكفوا اذا سل المهند حاجبه
وعودوا اذا نامت أراقم شعره	وولوا اذا دبت اليكم عقاربه
ولا تذكروا الأشباح بالله عنده	فلو أتلف الأرواح من ذا يطالبه
أراه بعينى والدموع تكاتبه	ويحجب عنى والفؤاد يراقبه
فهل حاجة تدنى الحبيب لصبه	سوى زفرة تثنى الحشا وتجاذبه
فلا أنا ممن يتقيه حبيبه	ولا أنا ممن بالصدود يعاتبه
ولو أن طرفى أرسل الدمع مرة	سفيراً لقلبى ما توالت كتائبه

وكان كثيراً ما يتغنى بها ، فطرب الباشا طرباً شديداً ، واستظرف قائل الأبيات وتمنى رؤيته ، فأرسلوا له بالحضور . فلما حضر الى طندتا ، وواجهه استقبح صورته ، إلا أنه أعجبه ظرفه وأدبه ومال اليه ، فاتخذه نديماً لا يمل ، ورفيقاً حيث حل . فلما استقرت به النوى وملأ يده من الباشا ، استعداه على أبى سعدة الذى كان يقرئ أطفاله ، وادعى انه أخر له ثلاثين ديناراً من أجرة التعليم ، فأمر الباشا باشخاصه الى طندتا ، وألزمه أن يدفع للمترجم مائة جنيه ، فدفعها عن يد وهو صاغر . وكان مجلس شاهين باشا محط رحال الأدباء ومنتجع الشعراء والندماء ، لايخلو من مطارحات أدبية ومساجلات شعرية ، وللمترجم بينهم المقام الأعلى والقدح المعلى . وحسبك ما وقع له مع طائفة (الأدباتية) وهم مشهورون بالقطر المصرى يستجدون الناس فى الطرق بانشاد الأزجال والضرب على الطبل ، وأغلب أزجالهم مرتجلة فى مقتضى الحال . فكان للمترجم معهم يوم مشهود ذكره فى مجلة الأستاذ

ثم اتصل المترجم بالبيك التتونجى فجعله وكيلا على ضياعه ، وما زال حتى لحق بالاسكندرية مسقط رأسه ومنبت غرسه ، وكان منه ما سنقصه عليك

تلك خلاصة ترجمته فى أول أمره ومبتدا خبره ، وكان القطر المصرى فى تلك الأثناء فى اضطراب وهرج ومرج من اختلال الأحوال وفساد الحكام واعتلاء الافرنج على الأهلين ، وقد سئم الناس حكم اسماعيل باشا وتمنوا زوال دولته ، فلما وفد المترجم على الثغر رأى لفيفاً من الشبان ألفوا جمعية سموها « بمصر الفتاة » يتآمرون فيها سراً خوفاً من بطش الخديو ، فعرف منهم البعض ، واشتغل بالكتابة فى صحف الأخبار ، فأعجب الكتاب بمقالاته ، واقتدوا به فى تحسين الانشاء ، وكان سقيما منحطاً فى ذلك العهد . ثم سعى مع جمع من الأدباء فألفوا جمعية سموها « بالجمعية الخيرية الاسلامية » سنة ١٢٩٦ آخر سنى اسماعيل باشا فى الحكم وجعلوه مدير مدرستها . ثم عزل الخديو وتولى ابنه توفيق باشا ، ففرح الناس وظنوا انفراج الأزمة . وجد المترجم واجتهد فى انجاح مسعاه فى الجمعية حتى حمل الخديو على زيارة مدرستها ، فزارها يوم امتحان تلاميذها، وجعلها فى حماية ولى عهده عباس بيك ، وأنعم لهم بالمدرسة البحرية يدرسون بها ، وأجروا عليها من الحكومة مائتين وخمسين ديناراً فى السنة مساعدة . وطفق المترجم يؤلف القلوب ويحض الأهلين على الالتئام بالمقالات والخطب ينفثها قلمه ولسانه ، وألف قصة تمثيلية سماها « الوطن

وطائع التوفيق » وأخرى سماها « العرب » شرح فيهما ما كانت عليه حالة القطر وما طرأ عليه ، ثم مثلها هو وتلاميذه بأحد ملاعب لثغر بحضور الخديو ، فكان لهما تأثير كبير فى النفوس ، واشتهر لترجم وعلا كعبه ، ولهج الناس بذكره ، ثم طرأ فساد على الجمعية سبوه اليه فانفصل منها ، وكان شرع فى إنشاء صحيفة سماها « التنكيت والتبكيت » مزج فيها الهزل بالجد ، ظهر أول عدد منها فى ٨ رجب سنة ١٢٩٨ ، وظهر فى أثناء ذلك وميض الثورة العرابية من خلل الرماد ، فوافقت هوى فى نفس المترجم لميله الى الشهرة وبعد الصيت، فضموه اليهم وشدوا أزرهم به ، فملأ صحيفته بمحامدهم ، ودعا الى القيام بناصرهم ، وخطب الخطب المهيجة ونظم القصائد الحماسية ، وندب الوطن ورثاه ، وحض على الاجتماع والتكاتف ونبذ أضاليل الافرنج ، فأثرت قالته فى النفوس وأشربتها القلوب ، وادعى الشرف وانتسب الى الامام الحسن السبط رضى الله عنه ، والله أعلم بتلك النسبة ، فقد رأيت كثيرين ممن عرفوه ينكرونها ، ثم أوقف صحيفته بعد أن ظهر منها ثمانية عشر عدداً آخرها تاريخه ٢٣ ذى القعدة سنة ١٢٩٨ وكانت أسبوعية تظهر يوم الأحد . وانتقل الى القاهرة وهى جذوة من نار ، وغير اسم صحيفته بأمر عرابى باشا كبير الثوار فسماها « الطائف » تيمناً باسم بلدة بالحجاز مشهورة ، وتفاؤلاً بأنها تطوف المسكونة كما جابتها جوائب احمد فارس . واسترسل المترجم مع رجال الثورة حتى صار جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب ، ولقبوه بخطيب الحزب الوطنى . وقام سراة القطر وأعيانه يعقدون المجتمعات ويولمون الولائم للعرابيين ويدعون المترجم للخطابة ، فكانت له بها المواقف المشهودة ، والأيام المعدودة ، حتى استفحل الأمر وقامت الحرب بالاسكندرية بين الانكليز والمصريين يوم الثلاثاء ٢٥ شعبان سنة ١٢٩٩ . فسافر المترجم اليها مع جماعة من رؤساء الجندوبات بها ليلة ، ثم لحق بعرابى باشا وقد انهزم الى كفر الدوار ، ثم انتقل معه الى التل الكبير وهو ينشئ صحيفة الطائف بالمعسكر فيضمنها أخبار الانتصار ويحشوها بالأكاذيب تهدئة للأفكار ، حتى وقعت الهزيمة الكبرى على المصريين بالتل الكبير ، ففر عرابى باشا وعلى باشا الروبى ومعهما المترجم الى القاهرة يوم الأربعاء ٢٩ شوال من السنة المذكورة ، واتفقوا على ارساله الى الاسكندرية بكتاب يطلبون به العفو من الخديو فسافر به يوم الخميس ، ولما وصل الى كفر الدوار بلغه القبض على زعماء الثورة ودخول الانكليز القاهرة . فعاد اليها ليلا وبقى فى داره بجهة العشماوى الى الصباح ، وخرج مع والده وخادمه فركبوا عجلة وقصدوا بولاق ، ورآه شاهين افندى فؤاد المفتش بالمصرف العقارى ، وهو من مماليك عباس باشا والى مصر فظنه غير مطلوب ، قال ولولا ذلك لقبضت عليه . فلما وصلوا الى بولاق ودعه أبوه واختفى هو وخادمه ولم يظهر لهما أثر ، فأقام مختفياً نحو تسعة أعوام لايهتدى الى مكانه، وقد أعيى الحكومة المصرية أمره حتى جعلوا ألف دينار لمن يرشد اليه ، وبثوا عليه العيون فلم يظفروا منه بطائل ، فلما أعيتهم الحيل حكموا عليه بالنفى مدة حياته من القطر المصرى ، ويئس أصحابه من وجوده ، وأشيع القبض عليه وخنقه سراً ، ومنهم من أشاع موته حتف أنفه ، ومنهم من أشاع هربه الى بلاد الافرنج ، فعد اختفاؤه من الأمور الغريبة ، ولا غرو فأمره غريب من أوله .

القبض عليه

وكان يتردد على بلدة الجميزة (مركز السنطة) رجل يقال له حسن الفرارجى كان منتظماً فى العسكر ، ثم استخدم جاسوساً سرياً ، فأبصر رجلاً أنكر حاله لما رآه عليه من سيما الاختفاء ، ورجح انه عبد الله نديم ، فكتب الى الديوان الخديوى ينبئهم بوجود رجل من العرابيين مختف بالجميزة ، وأسرع الى ديوان الداخلية فأوضح لهم أمره فأعطوه ورقة بحليته ، فلما تحقق منه أخبرهم به ، فأمروا بالقبض عليه ، وحضر من المديرية محمد افندى فريد وكيل (الحكمدار) ومعه نفر من الشرطة ستروا ملابسهم بثياب أخرى ، فأحاط بعضهم بالبلدة متفرقين ، وصعد وكيل الحكمدار مع الآخرين على تل مشرف على أفنية الدور ، وأحس المترجم بتلك الحركة ، فأوجس فى نفسه خيفة ، وأراد الانتقال الى دار أخرى فأخذ عيبته على كتفه وصعد على سطح المكان فأبصره الذين على التل ، فصاحوا وصوبوا بنادقهم عليه ، وأمروه بالنزول فنزل ، ثم أحاطوا بالدار ، وطرقوا الباب طرقاً عنيفاً وأيقن المترجم انه مأخوذ لا محالة ، ففتحه لهم ، وواجههم متجلداً ، فسأله محمد افندى فريد عن اسمه فقال له : سبحان الله أتجهل اسمى وأنت مأمور بالقبض على ، أنا عبد الله نديم ذو الذنب العظيم ، وعفو مولاى الخديو أعظم ، سلمت أمرى لله ، فقبضوه هو وخادمه وأعماهم الله عن كتبه وأوراقه ، ولولا ذلك لأصابه شر عظيم بسبب أهاجيه

القبيحة فى الخديو وأسرته ، وكان القبض عليه فى ٢٩ صفر سنة ١٣٠٩ ، ولم ينل الواشى به شيئاً من الجعل لفوات الأجل المضروب للمكافأة ، ثم استاقوهما الى المركز ، وسألوه عمن اختفى عندهم ، فلم يقر بأحد ، وسألوا خادمه وضربوه ، فأقر بالبعض ونقلوهما الى المديرية بطندتا ، فسجنا بعض أيام ، ووكيل النيابة بالمحاكم يوالى سؤالهما ، وانتهى الأمر بعفو الخديو عنه وعمن آواه ونفيه خارج القطر .

نفيه

فاختار يافا ثغر القدس الشريف ووصلها فى غروب يوم الجمعة ١٢ ربيع الأول ، ونزل عند السيد على افندى أبى المواهب مفتيها ، ولما دخل داره وعرفه بنفسه قام واعتنقه وضحك وبكى . فأقام عنده شهراً ، ثم اتخذ له داراً وعرفه أعيانها وفضلاؤها ، وأكرموه وواسوه جزاهم الله خيراً . ثم رحل رحلته الى نابلس وسبطية وقلقيلا وغيرها من البلاد الفلسطينية . واجتمع بطائفة السامرة واطلع على كتبهم ومعتقداتهم كما رأيته بخطه فى كتاب أرسله لأحد أصدقائه فى مستهل رمضان . ولم يزل مقيما بيافا حتى مات الخديو وتولى ولده عباس باشا فى جمادى الثانية ، فعفا عنه وأباح له العود الى مصر . قال فى آخر ذلك الكتاب « عزمنا على الحضور بعد العيد ان شاء الله تعالى ، فان موسم سيدنا موسى الكليم يعمل فى نصف شوال ، ولا أحضر حتى أزوره مرة ثانية فانه صاحب الأمر بالعفو عنى ، وان كان الظاهر خلافه ، وذلك انى عند دخولى حضرته الشريفة أنشدته فى الحال :

رجوتك يا كليم الله حاجا أرجيها وقد حققت فضلك
فقل لى مثلما لك قبل أوحى اله الخلق قد أوتيت سؤلك

فرأيته ليلا يقول لى (قم روح) ثلاثاً ، وكانت ليلة ٣ رجب وهو تاريخ صدور الأمر » . انتهى ما نقلته من خطه .

عودته الى القاهرة

ولما عاد الى مصر استوطن القاهرة ، وأنشأ مجلة الأستاذ فى شهر صفر سنة ١٣١٠ ، فبرزت موشحة ببديع مقالاته وغرر أزجاله وموشحاته . وبدت الوحشة فى أثناء ذلك بين الخديو والانكليز ، وكان ما كان من عزله صنيعتهم مصطفى فهمى باشا كبير الوزراء ومما كستهم فيما يريدون . فقام المترجم يستنهض الهمم ويحض على موازرة الخديو ونبذ طاعة سواه ، وكتب فى ذلك المقالات الطويلة بالأستاذ حتى أحفظ الانكليز وخشوا من اتساع الخرق لمكانته السابقة من النفوس ، وسعى حساده بما سعوا ولفقوا ما لفقوا ، فأوقفوا مجلته فى شهر ذى القعدة من السنة المذكورة وأعادوه الى يافا منفياً بعد أن أعطوه أربعمائة دينار ، وأجروا عليه خمسة وعشرين كل شهر ، واشترطوا أن لا يكتب بشأن مصر كلمة ، ولم ينفعه الخديو لقصر يده .

نفيه الى يافا

فلما استقر المترجم بيافا لم يسلم من السعاية به لدى السلطان ، فأمر بابعاده فعاد الى الاسكندرية متحيراً ، ولقد لفظته البلاد لفظ النواة ، فسعى له الغازى احمد مختار باشا وساعده حتى قبله السلطان المعظم عبد الحميد بدار السلطنة ، واستخدمه فى ديوان المعارف ووظف له خمسة وأربعين ديناراً مجيدياً فى الشهر ، فأمضى بها بقية أيامه شريداً عن وطنه بعيداً عن أهله وخلانه حتى اشتدت عليه علة السل ، فلقى حمامه فى الرابع من شهر جمادى الأولى سنة ١٣١٤ .

وفاته

ودفن بمقبرة يحيى افندى فى بشكطاش ، وضاعت مؤلفاته ودواوينه ولم يظهر منها إلا جزء من « كان ويكون » كان يطبعه ذيلاً للأستاذ ، وكتاب آخر نسبوه اليه اسمه « المسامير » محشو بالهجو القبيح فى الشيخ أبى الهدى الصيادى نزيل دار السلطنة ، فمضى وكأنه لم يكن رحمه الله رحمة واسعة . ومن تأمل بعين الاتعاظ فى تقلب الأحوال بالمترجم ، وما ذاقه من حلو الزمان ومره ، وقاساه مدة الاختفاء ثم النفى حتى مات غريباً طريداً ، حق له العجب وعرف كيف يعبث الزمان بأهل الفضل من بنيه .

ونشأ المترجم فقيراً كما قدمنا ، وعاش فى قلة فان أصاب شيئاً بدده بالاسراف ، وكان فى أول أمره يرتدى الثياب الافرنجية المعلومة ، فلما ظهر بعد الاختفاء لبس الجبة والقفطان واعتم بعمامة خضراء اشارة الى الشرف ، وكان شهى الحديث حلو الفكاهة ، اذا أوجز ود المحدث انه لم يوجز ، لقيته مرة فى آخر اقاماته بمصر ، فرأيت رجلاً فى ذكاء إياس ، وفصاحة سحبان ، وقبح الجاحظ . أما شعره فأقل من نثره ، ونثره أقل من لسانه ، ولسانه الغاية القصوى فى عصرنا هذا ، وقد انتخب أخوه عبد الفتاح افندى جملة صالحة من مقالاته جمعها فى كتاب سماه « سلافة النديم » فارجع اليه ان شئت .

ونحن ذاكرون من شعره ما يحتمله المقام ، فمن ذلك مرثيته فى الخديو محمد توفيق باشا وقد أشار اليها فى كتاب أرسل به من يافا فى ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٠٩ يقول فيه « غمنى وكدرنى موت الحضرة الخديوية لأمور : (أولاً) فلعفوه عنى واحسانه إلى ، (ثانياً) لسابقة معروفه معى وتوجهاته السابقة ، (ثالثاً) لصغر سنه ، (رابعاً) لصغر سن أنجاله ، (خامساً) لصغر سن حرمه وما تقاسيه من حزنها عليه لما كان بينهما من شدة الألفة والمحبة (سادساً) لأنه كان برزخاً بين مصر وبين نكبات انكلترة وغيرها والله تعالى يجرى الأمور على السداد ، وسأبعث بمرثية رنانة لحضرة ولدى مصطفى بك ماهر رئيس ترجمة ديوان الحربية ليطبعها وينشرها على حدتها » انتهى ما نقلته من خطه ، ولم أقف إلا على ثلاثة أبيات منها ذكرها المترجم بالأستاذ وهى :

ما للكواكب لا ترى فى المرصد   والكون أصبح فى لباس أسود
عم الكسوف الكل أم فقد الضيا   أم كلنا يرنو بمقلة أرمد

وتاريخها

فملائك الجنات قالت أرخوا   توفيق فى عز النعيم السرمدى
١٣٠٩

ومن مختار شعره قوله من قصيدة لم نعثر منها إلا على هذا القدر

سيوف الثنا تصدا ومقولى الغمد   ومن سار فى نصرى تكفله الحمد

ومنها

ومن عجب الأيام شهم أخو حجا   يعارضه غر ويفحمه وغد
ومن غرر الأخلاق أن تهدر الدما   لتحفظ أعراض تكفلها المجد

ويقال انه نظمها بحضرة شاهين باشا تبكيتاً لمن زعم قصور الشعراء عن معارضة أبى الطيب المتنبى فى قوله :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى   عدواً له ما من صداقته بد

قلت : بين القولين فرق ظاهر للمتأمل ، وأين الثريا من يد المتناول ؟ ومن شعره قوله أيام اختفائه ، وكتب بها الى صديق له يسليه على نازلة نزلت به :

يا صاحبى دع عنك قول الهازل   واسمع نصيحة عارف بالحاصل
اجهل تجد صفو الزمان فانه   من قسمة القدم الغبى الجاهل
ودع التعقل بالتغفل يستقم   أمر المعاش فحظه للغافل
وارض البلادة تغتنم من بابها   مالاً وجاهاً بعد ذكر خامل
واذا أبيت سوى العلوم فلا تضق   بحروب دهر لا يميل لفاضل
قلب تواريخ الأولى سبقوا تجد   دنياك ما قيدت بغير الباطل
تجد الأفاضل فى الزوايا كلهم   حال الحياة وبعدها بمحافل
العلم ستر كالسحاب به ترى   شمس الحقيقة خلف ذاك الحائل
هل أبصرت عيناك ديواناً به   مدح البليغ جميل سعد حافل
ان قلت أى، فاذكر لنا من ناله   أو لا ، فعش كالناس فى ذا الساحل
ضدان لا تلقاهما فى واحد   مال الغنى وحكمة الكامل

ثم ذيلها بنثر أضربنا عن ذكره . ومنه قوله وضمنها كتاباً كتبه مدة اختفائه لأحد أصدقائه :

وبعد فهذا شرح حالة غائب   عليه من اللطف الخفى ستور
تدور به الأهوال حول مدارها   فيصبر والقلب الرضى صبور
عسى فرج يأتى به الله انه   على فرجى دون الأنام قدير

كيف تهدى العروس الى زوجها

فى حضرموت ؟

مشهد من رواية شعرية تحت الطبع باسم « همام أو فى عاصمة الأحقاف »

للشاعر الحضرمى على أحمد با كثير

ساحة كبيرة أمام بيت العروس « حسن » . فيما بعد منتصف الليل يرى هناك جمهور من النساء يصطففن لزفها الى بيت « همام » تتوسطهن «حسن» عليها غطاء لا ترى منه . تحيط بهن الوصائف بأيديهن الشموع والمصابيح . تتقدمهن القينات بأيديهن الدفوف وهن يتغنين بينما الجمهور يتحرك ويتجه فى سير بطيء الى جهة بيت « همام » :

القينات : نحن نزفُّ الشّمسا   والشمسُ فى ضُحاها
فما أجلَّ عُرْسا   يغمره سناها !
الجمهور : نحن نزف الشمسا . . . . . .
. . . .
القينات : نحن نزف الحيا   نحن نزف المُنى !
نحن نزفُّ الضيّا   نحن نزف السّنا
الجمهور : نحن نزف الشمسا . . . . . .
. . . .
القينات : يا عُصبة الغوانى   هلمَّ للتطريبِ !
اشدُون بالأغانى   واهتِفن بالنسيبِ

واضمِدْن بالأماني دوامىَ القـلوبِ !

الجمهور : نحن نزف الشمسا . . . .

. . . .

القينات : حيِّين بالســلام هذا الشُّعاع المسكوبْ

وافْتأْنَ بالأنغامِ كل حزينٍ منكوبْ

الجمهور : نحن نزف الشمسا . . . .

. . . .

القينات : روائحُ الجِنانِ تعبقُ من هذى الدُّورْ

كأنما المغـانى أمستْ مراقصَ الحُورْ !

الجمهور : نحن نزف الشمسا . . . .

. . . .

القينات : نحن نزفُّ المَلَكْ فى صورة الإنسانْ !

يجلو ظلام الحلَكْ ويقشع الأحزانْ

فهـل لديكم فلَكْ بنورِه يزْدانْ ؟!

الجمهور : نحن نزف الشمسا . . . .

. . . .

القينات : يا قمر السـماء غُضَّ الجفونَ أغضِ !

بالذكر والأسماء عوّذْتُ بدْرَ الأرض

الجمهور : نحن نزف الشمسا . . . .

. . . .

(على مقربة من بيت « همام »)

القينات : سُقْنَ الى هُمامِ جمالَ هـذا النّادى

واحدُونَ للضِّرْغامِ لباةَ هـذا الوادى !

الجمهور : نحن نزف الشمسا . . . .

. . . .

(فى الطابق العلوى من دار الزوج « همام » حيث تستقبل نسوة الدار النسوة اللاتى زففن العروس . تنحاز نسوة الدار الى جهة ، ونسوة الزفاف الى جهة ، والقينات فى الوسط يضربن بالدفوف .)

القينات : ألْيُمْنُ والإقبالُ والسّعد والسعادَهْ

للعُرسَيْنِ فالُ والفضل والزياده

شاعرة نسوة الزفاف ثم سائرهن :

نحن نزف الحُسْنا نحن نزف بُلْقَيس

نحن نزف لُبْنَى فهل لديكم من قَيْس

شاعرة نسوة الدار مجيبة ، ثم سائرهن وهكذا فى باقى الأبيات :

هُمامنا كالمأمو ن إن زففتم بُوران

وإن تكُن بُلقيساً فإنّه سُليمان !

نسوة الزفاف : ألنّصر للعروسَهْ

نسوة الدار : بل هو للعروسِ

نسوة الزفاف : للدُّرّة النفيسه

نسوة الدار : للجوهر النفيسِ

نسوة الزفاف : للحرّة المَصُونهْ وربّة الجمالِ

للدرة المكنونهْ واسطة اللآلى !

نسوة الدار : لِمَفْخَر المدينهْ لسيّد الرجال

النّاسُ يعرفونهْ بكرَم الخلال !

نسوة الزفاف : ألنُّورُ والشُّعاعُ ووَهَجُ الشُّموسِ

والجوهر اللّمّاعُ وحَبَبُ الكؤوسِ

جميعُها أشياعُ لهذه العَروسِ !

نسوة الدار : ألمجدُ والكمالُ وكرم الأخلاق

والقولُ والفعالُ وحَسَبُ الأعراقِ

جميعهنّ آلُ عروسنا الغيداق

القينات : كِلا العروسَيْنِ زيْنْ للمجد والعلاء

فلا تفاضُلَ بيْنْ سراجَى السماء !

أين المجرّة ؟ أينْ كواكب الجوزاء ؟

أصوغهنّ لِذَيْنْ تاجَيْنِ بالسّواء

***

القينات ثم الجميع بصوت واحد :

يا رب باركْهُما فى ذا الزواج السّعيدْ

واجعلْ زمانَهما كأنّه يوم عيد

***

وانفحهما بالوَلَدْ مثل درارى النجومْ !

فى ظل عيش رَغَدْ وفى صفاء يدومْ

على أحمد باكثير

في الأدب الفرنسي

٤ ـ الدوق دى لاروشفوكو

للدكتور حسن صادق

ومن يوم ان غشى صالون المركيزة دى سابليه ، شعر بميل شديد الى كتابة الحكم والمواعظ ، وبذ فى هذا النوع من الأدب ربة البيت وجاك إسبريه . وهذا أول نجاح صادفه فى حياته وبعث السرور فى دخيلته . وكان من القواعد المألوفة فى هذه المجالس أن الانسان إذا أراد أن يكتب للجمهور ، وجب عليه أن يستنير برأى زملائه . وقد ذكر ذلك سجريه فقال : « كان من الواجب على الذين يكتبون للجمهور أن يطلعوا أصدقاءهم على ما يكتبون لاصلاحه وتهذيبه . وقد اتبع الدوق دى لاروشفوكو هذه القاعدة فى مذكراته وفى مواعظه . فكان يرسل الى ما يكتبه ويسألنى أن أحتفظ بالكراسات خمسة أو ستة أسابيع حتى يتسنى لى إنعام النظر فيها . ومن هذه المواعظ ما تغير أكثر من ثلاثين مرة »

وكثيراً ما كان يستشير المركيزة ويسألها أن تبدى رأيها فيما يكتب ، ومما يثبت ذلك أنه كتب إليها فى أحد الأيام يقول : « لا يصح أن تسمى هذه المواعظ بهذا الاسم إلا إذا وافقت عليها . إنك لا تستطيعين إنكارها ، لأن الكثير منها يرجع إليك » . وقد بلغ من اهتمام المركيزة بهذه المواعظ أنها نقلتها وأطلعت عليها كثيراً من أصدقائها فى غيبة المؤلف وجمعت آراءهم فى أسلوبها ومعانيها .

وقضى عام ١٦٦٤ فى مراجعة كل مواعظه وتهذيب أسلوبها وعاونه على ذلك جاك إسبريه والمركيزة دى سابليه . وفى عام ١٦٦٥ ظهر الكتاب ، أى فى السنة التى ظهرت فيها قصص لافونتين المشهورة . وهذا الشاعر سيكون موضوع حديثنا فى المقال الآتى

وعقب نشر هذه المواعظ ، اتجهت المركيزة الى العبادة وتوددت الى الدوقة دى لونجفيل ، فأعرض عنها لاروشفوكو بعد هذه الصلة الوثيقة التى استمرت خمسة أعوام . ثم شاء القدر أن يقضى أعوامه الأخيرة فى هدوء وسعادة ، فساق إليه الكونتس دى لا فاييت [١] تخلص له الود والوفاء وتهدهد نفسه الحزينة فى شيخوخته

وفى عام ١٦٦٧ خاض غمار الحرب لآخر مرة فى حصار ليل على الرغم من مرضه . ثم اشتدت عليه وطأة الداء فكف عن زيارة البلاط وراض نفسه على أن يقضى بقية أيامه فى الراحة العذبة بجانب صديقته التى شهد لها بوالو [٢] بالتفوق فى الأدب والنبوغ فى الكتابة

وكان يجتمع فى بيته الكتاب والشعراء . فكورنى قرأ فى صالونه قصة (بولشيرى) ، وراسين [٣] قصة (اسكندر) ، وبوالو كتابه (الفن الشعرى) ، وموليير [٤] (النساء العالمات) هذه الكوميديا المشهورة التى قيل فى ذلك الحين إنها سخرية من مدام دى سفنيه ومدام دى لا فاييت .

وشغل أعوامه الأخيرة فى تنقيح كتابه الصغير «مواعظ» . فالطبعة الأولى فى عام ١٦٦٥ وبها ٣٠٧ مواعظ ، والطبعة الثانية فى ١٦٦٦ وبها ٣٠٢ موعظة ، والثالثة فى عام ١٦٧١ وبها ٣٤١ موعظة ، والرابعة ١٦٧٥ وبها ٤١٣ موعظة ، والخامسة فى عام ١٦٧٨ وبها ٥٠٤ مواعظ ، وفى هذه السنة الأخيرة نشرت حكم المركيزة دى سابليه وكتاب جاك إسبريه « شوائب الفضائل الانسانية »

وماتت زوجه فى عام ١٦٧٠ فعاشت معه مدام دى لافاييت لا تفارقه إلا لماما ، وبفضلها خفت لهجة المواعظ القاسية فى طبعتى عام ١٦٧١ وعام ١٦٧٨ . ويصح أن نطبق عليها جملة الشاعر الألمانى الأكبر (جوت) التى قالها عن (مدام دى ستيل) « إنها تحيل المرارة الى عذوبة » . ساعدته على تنقيح مواعظه ،

---

(١) ١٦٣٣ — ١٦٩٣ أديبة فرنسية خصبة الخيال رائعة الأسلوب، ولها آثار أدبية كثيرة قيمة أهمها قصة « الأميرة دى كليف »

(٢) ١٦٣٦ — ١٧١١ شاعر فرنسى عظيم وناقد سديد الرأى نزيه الحكم . وكان الشعراء والكتاب فى عصره يخشون نقده . وأشهر مؤلفاته (الفن الشعرى)

(٣) ١٦٣٩ — ١٦٩٩ . شاعر فرنسى عبقرى بلغ قمة المجد الأدبى بتراجيدياته الشعرية الخالدة

(٤) ١٦٢٢ — ١٦٧٣ . أحد شعراء فرنسا الخالدين . وكوميدياته الشعرية فى غنى عن التعريف

وساعدها على كتابة قصصها وعلى الأخص قصتها المشهورة التي خلدت ذكرها وهي « الأميرة دى كليف » . وقد اعترفت بذلك وقالت « استفدت من عقله ، ولكنى أصلحت قلبه » . أصلحت قلبه لأنها أخلصت له الحب وهيأت له أسباب السعادة

وفى شهر يونيو عام ١٦٧٢ جرح ابنه الأكبر فى موقعة الرين جرحاً بليغاً وقتل فيها ولده الرابع والكونت دى سان بول ابنه غير الشرعى من الدوقة دى لونجفيل ، فانتابه حزن أليم . وذكرت مدام دى سفنييه هذه الحادثة لابنتها فى إحدى رسائلها « كنا عند مدام دى لافاييت لما بلغه ما أصاب أولاده ، فسالت دموعه من أعماق قلبه على خديه . . . رأيت قلبه عاريا فى هذا الظرف القاسى فعرفت فيه قلب رجل شجاع ثابت الجنان راجح العقل وافر الحنان »

ولما ماتت أمه فى عام ١٦٧٨ ، وكان يحبها حباً شديداً ، كتبت مدام دى سفنييه الى ابنتها تقول : « رأيته يبكى فى حنان جعلنى أعبده »

وبكاؤه أولاده وأمه شىء عادى لا يستحق الذكر . وإنما ذكرته مدام دى سفنييه لأن الناس اعتقدوا أن هذا الرجل الذى أنكر العواطف الانسانية فى كتابه ، غليظ القلب عار من العواطف ، فأرادت أن تمحو ما وقر فى أذهانهم وتبرهن لهم على خطأ اعتقادهم

وذات مرة فاجأته مدام دى سفنييه « متلبساً بالحنان » إذ سمع قصة تدل على الشجاعة ونبل العاطفة فى أشد المواقف هولاً فبكى . وفى هذا تقول : « إنه يبكى نفسه باعجابه بنبل هذه العاطفة » وأوحت إليه هذه القصة إحدى مواعظه : « يشعر الانسان بأن له نصيباً فى الأعمال الجميلة إذا مدحها بقلب خالص »

وقبل موته بقليل عرض عليه (هويه) أحد معلمى ولى العهد الدخول فى مجمع العلماء ، فاعتذر من القبول بالمرض . ولكن (هويه) يقول فى مذكراته ان سبب رفضه يرجع الى خجله الشديد فى حضرة الجمهور

وفى أوائل شهر مارس عام ١٦٨٠ استبد به الداء ، فعاده جميع الأطباء النابهين ، ثم دعى (تالبوت) الطبيب الانجليزى المشهور لعلاجه ، ولكن الطب عجز عن قهر المرض . وفى ١٥ مارس كتبت مدام دى سفنييه الى ابنتها تنبئها بحالة الدوق وتظهر لها اعجابها بهدوء نفسه واطمئنانه الى لقاء الموت

وفى يوم ١٦ مارس استوفى أنفاســـه ليلا بين ذراعى بوسويه (١) ، وهو فى السابعة والستين من عمره ، أى بعد موت الدوقة دى لونجفيل بعام ، وبعد نشر قصة مدام دى لافاييت « أميرة دى كليف » بعامين وقد خلف لأولاده ديناً كبيراً على الرغم من ثروته الهائلة . ولكن ابنه الأكبر فرنسوا السابع نال بحكمته عطف الملك وحبه ، وأصلح بمعونته ما أفسده أبوه

صفاته

ذكرنا فى تاريخ حياته أنه وصف نفســه كتابة فى صالون الآنسة دى مونبانسيه ، ونشر هذا المقال عام ١٦٥٩ ، فكان أول عهد الجمهور بآثار هذا الكاتب الأدبية . وقد استهله بوصف دقيق لقامته وشعره ورأسه وأسنانه ، ثم قال . « يحمل وجهى سمة الحزن وطابع العزة ، وهذا ما يجعل الناس يعتقدون خطأ أن من طبعى ازدراءهم . ومزاجى تستقر فيه الكآبة وتألفه ، ولم يرنى أحد من الناس أضحك أثناء ثلاثة أعوام أو أربعة إلا ثلاث مرات أو أربع ، ويخيل الى أنى كنت أحتمل اكتئاب مزاجى وأجد فيه بعض الراحة والهدوء لولم يستطب صحبتى اكتئاب آخر يملأ مخيلتى ويستبد بفكرى ، ويجعلنى أقضى جل وقتى إما صامتا حالما وإما متكلما دون أن ألقى بالى الى ما أقول »

وليس من العسير أن نجد سبب هذا الاكتئاب الآخر ، فان ذكريات الحرب الاهلية تركت فى نفسه أثراً اليما ، وولدت فى دخيلته الاكتئاب الباطنى الذى غمر « مواعظه » فبدت للناس قاتمة حزينة .

يتبع حسن صادق

(١) ١٦٢٧ — ١٧٠٤ قسيس فرنسى نال إجازة الدكتوراه فى اللاهوت فى عام ١٦٤٨ وأهدى رسالته الى الأمير دى كونديه واشتهر بالخطابة الدينية التى تملك على السامع وجدانه وتغمره بالنور . وله مؤلفات دينيــة قيمة فيها جمال التعبير ودقة البحث واستقامة الفكر

العُلوم

النظريات الحديثة
في تعيين الجنس ذكراً أم أنثى

بقـلم منير غندور
ليسانسيه في العلوم

عندما يولد الطفل يكون قد حدد مصيره ، ذكراً كان أم أنثى ، من تسعة أشهر ، منذ تألفت أول خلية من خلايا الجنين بالتحام خلية كبيرة تقـدمها الأم وتسمى بويضة ، مع خلية أخرى من الخلايا الكثيرة العدد التي يقدمها الأب ، وتسمى خلية منوية (سبارماتوزيد Spermatozaids) ثم تتضاعف الخلايا وتنمو سائرة في أحد اتجاهين .

ولكن تحت أي تأثير تأخذ الخلية الأولى الاتجاه الأول أو الثاني ؟ ترون هنا أهميـة معرفة مايدخل من عوامل لتعيين جنس الجنين من الناحية العلمية البحتة ومن الناحية التطبيقيـة أيضاً ، اذ لايخفى أنه لو توصلنا الى معرفة العوامل التي تجعل الذكر ذكراً والأنثى أنثى وطرق استعمالها حسب مشيئتنا « فنوصي » على ذكر أو على أنثى حسب الحاجة لقلبنا النظام البشري الحالي .

ان علم « البيولوجيا » توصل اليوم الى معرفة هذه العوامل وأزاح كل غطاء عنها ، ولكن رجاله لايزالون يكررون التجارب ليتمكنوا من استخدام هذه العوامل حسب مشيئتهم . وهذه التجارب التي أجريت أخيراً في هذا الصدد ، وقد خصها مسيو جان روستان بكلمة أجملها فيها ، هي التي بعثتني على الكتابة في هذا الموضوع لأبين العوامل التي تدخل في تعيين الجنين والاتجاه الذي يأخذه علماء البيولوجيا الحديثين في تجاربهم هذه .

لنأخذ الخلية الأولى المكونة للجنين : لقد أصبح أكيداً اليوم أن هذه ستكون ذكراً أو أنثى تحت تأثير « الكروموزومات » Chromosomat وهـذه عبارة عن ذرات متناهية الصغر توجد في نواة كل خلية . وفي الجنس البشري يوجد ثمان وأربعون « كروموزوم » عند المرأة ، ٤٦ متشابهة ثم اثنان متشابهان ، ولنسمهما X. X. وعند الرجل ٤٦ متشابهة ثم اثنان يختلف كل واحد منهما عن الآخر ، ولندعهما X. Y.

أما البويضة و « السبارماتوزيد » فهما لا يحتويان الا على نصف عدد الكروموزومات الذي تحتويه الخلايا العادية فكل بويضة تحتوي على X + ٢٣ أما السبارماتوزيد فـ ٥٠٪ من مجموع عدده تحتوي على X + ٢٣ و ٥٠ ٪ على Y + ٢٣ .

اذاً بين السبارماتوزيدات التي يقدمها الأب نوعان مختلفان ، نوع يحتوي على X + ٢٣ ونوع يحتوي على Y + ٢٣ . وعلى حسب ما تلتقي البويضة بالنوع الأول أو الثاني يكون الكائن الناتج انثى (بويضة مع سبارماتوزيد) X + ٢٣ أو ذكراً (بويضه مع Y + ٢٣) وفي مجموع الكروموزومات التي يقدمها الأب ٥٠ ٪ من X + ٢٣ و ٥٠ ٪ من Y + ٢٣ فللكروموزوم الأول اذا نفس الامكانيـة التي للثاني للالتحام مع البويضة وهما يخضعان في التحامهما مع البويضة ، تارة هذا وتارة ذاك للمصادفة في الاعداد القليلة . وفي الاعداد الكبيرة لقانون probabilité — الاحتمال — ونحن نرى أن نسبة عدد الذكور للأناث في العالم يخضع تقريباً لنسبة $\frac{1}{2}$ (أعني في المواليد) . أما وجود المذكار (المرأة التي عادتها ولادة الذكور) والمئناث (المرأة التي عادتها ولادة الأناث) فهـذا لايعني أكثر مايعنيه الحصول في لعبة « الروليت » مثلاً على نفس اللون مرات عديدة متتابعة . اذ نسبة مجيء اللون الأول واللون الثاني تبقى خاضعة في الأعداد الكبيرة ، ٥٠٠ الف مرة مثلا ، الى نسبة $\frac{1}{2}$.

اذاً لقد قال العلم كلمته في هذا الموضوع .

* * *

القسم الثانى من هذا البحث هو أن نستطيع ادخال النوع الذى بالتحامه مع البويضة يعطى ذكوراً وحده ، والنوع الذى يعطى اناثاً وحده .

أما ادخال الخلايا المنوية الاصطناعى فهذا مما يستطيع أن يقوم به المتمرنون عند الحيوان كما عند الانسان مع قليل من الاحتياط . ولكن فصل النوعين عن بعضهما لم يتم الى الآن برغم كل ما أجرى من محاولات .

وأول ما يتبادر الى الذهن امكان وجود فرق فى الحجم بينهما فنستطيع حينها أن نفصل الاول عن الثانى بسهولة . ولكن شيئا من هذا لم يلاحظ . وهناك فكرة بثها وقال بتحقيقها عالمان روسيان هما : Kaltzaff و Schroder وهى افتراض أن الكروموزومات تحمل كهربائية على سطحها ، كأكثر الذرات الحية المعلقة فى وسطها الطبيعى ، وان هذه الحمولة الكهربائية (charge) هى سلبية عند نوع وايجابية عند النوع الثانى . وفى هذه الحالة يكون من السهل فصل هذين النوعين عن بعضهما بمجرد تأثير مجرى كهربائى .

طبق هذا الافتراض على كروموزومات الأرنب ، وكانت النتيجة أن الكروموزومات التى وجدت على القطب الايجابى أى المكهربة سلبياً أدخلت لعشر ارنبات والعشرة أعطت ذكوراً ، والكروموزومات التى وجدت على القطب السلبى أى المكهربة ايجابياً لعشر أخريات أعطت ثمانية منها أناثاً واثنان ذكوراً . والكروموزومات التى وجدت بين السلبى والايجابى أعطت ذكرين واثنين :

وقد ذكر « جان روستان » الابحاث الاخيرة التى قام بها طبيب المانى يدعى Alnterlerger فى هذا المعنى . ونتيجة هذه الابحاث هو أن الوسط القلوى milieu alcalin يناسب النوع من الكروموزوم الذى يسبب ذكوراً ، والوسط القليل الحمض يناسب مسببى الأناث . وهكذا يكفى لكى تحمل الأم ذكراً أن تحقن موضعياً بكربونات الصودا مثلا قبل الجماع . ويؤكد «انتار بارجار» نجاح هذه الطريقة عند الست والأربعين من النساء اللاتى تقدمن اليه خلال سنة ١٩٣٢ .

ولكن العلم لايستطيع الجزم بعد فى هذا الموضوع . ولايمكننا أن نقبل نظرية لها من الأهمية ما لهذه معتمدين على بضع نتائج لم يقم بها الا فئة قليلة من علماء البيولوجيا . غير أنه لايبعد أن يصل العلم بعد قليل الى حقيقة نهائية فى هذا الموضوع .

ولنفرض أن العلم وصل الى هذه الحقيقة فهل ينتج عن امكان اعطاء ذكر لأى كان ؟ لا . فنحن لا نستطيع أن نعطى ذكوراً أو أناثاً الا لمن نقصتهم الذكور أو الأناث لتصرف الصدفة الوحيد ولكن هناك خلايا منوية ، من منتجات الذكور مثلا ، تكون ضعيفة التركيب ينقصها شىء أساسى كامن فلا يمكنها الوصول الى البويضة أو اذا أمكنها ذلك والتحمت معها يقف عند حد ما نحو الجنين ، أو يتم ولكنه يولد ذا علة ما جسمية أو عقلية . والدليل على هذا مانراه عند المرأة المثناث . فالمرأة التى عادتها ولادة الأناث نراها (فى كثير من الأحيان) بغتة ، بعد أن تكون وضعت أربع بنات أو خمسا تلد ذكراً ميتاً أو يعيش قليلا ثم لايلبث أن يموت دون أن تظهر علة ما خارجية . ثم تسقط ذكرا لم يتم نموه ثم ذكرا ميتاً أو ابله .

وهنا أستطيع أن أقول ، دون أن أبحث المسألة من وجهتها الفلسفية إن قانون المصادفات الذى تكلمت عنه فى البدء والذى يجرى على حسبه تلقيح البويضة إما بخلية منوية X + ٢٣ أو بخلية منوية Y + ٢٣ يكون فوقه فى تأثيرات وصفات بيولوجية عميقة لا يحيط بها بعد علمنا .

وعلى كل حال فأنتم ترون ماقد يثيره تحقيق هذه الفكرة من مشاكل فلسفية واجتماعية . ورأيى أنها لن تتعدى النظريات ، وفى هذا ، أى تحقيقها النظرى عظيم رضى العالم وغايته الوحيدة ، واذا تعدتها للحيوان فهى لن تطبق على الانسان لأنها لن تزيد فى أكثر الأحيان الا فى اشقائه واكثار المسؤولية التى تقع على كاهله .

منير غندور

حول السلم الموسيقى

نشرنا فى العدد الماضى كلمة بهذا العنوان بامضاء (محمد مصطفى شريف) ، ثم علمنا بعد أنها للدكتور على مصطفى مشرفه الاستاذ بكلية العلوم ، وعذر المصححين أن خط الامضاء كان من الصعوبة والابهام بحيث يؤدى حتما الى هذا الخطأ

اللانهـــــاية

هى شىء كله مساو جزءه

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

مقدمة

يوجد فى بعض فروع المعرفة أصطلاحات وتعبيرات من الصعب جداً تعريفها أو تفسيرها تفسيراً موجزاً فى بضع كلمات ، وقد لايستطيع الباحث أو العالم المتضلع أن يعطى إيضاحاً بكلمات قليلة تبين المعنى المقصود بصورة دقيقة جلية واضحة ، ولهذا يضطر للتقرب من تعريفها أو لاعطاء فكرة عنها الى ذكر وشرح بعض خواصها . وقد تبدو التعاريف لبعض الاصطلاحات العلمية لأول وهلة غريبـــــة أو غير معقولة . واذا جاز للقارئ أن يدهش من الوضع الموجود به تعريف اللانهاية ، واذا جاز له أن يضحك عند قراءته ، أقول اذا جاز له كل ذلك يجوز لنا أن نطلب منه التمهل وقراءة المقال بتمعن عسانا — نحن وهو — نلتقى ، وعساه بذلك يوافق العلم ويقره ، ويعذره حين يضطر الى وضع تعاريف لبعض الاصطلاحات بصورة قد تبدو غريبة يمجها المنطق فى البدء ، وقد لا يستسيغها عقل غير المطلعين على الموضوعات التى تحتوى أمثال هذه الاصطلاحات .

إن تعريف اللانهاية يختلف بحسب الميدان الذى تكون فيه ، فهى فى ميدان الفلسفة والمعنى المقصود منها فيه غيرها فى ميدان الرياضيات ، غيرها فى الدين ، غيرها فى ميادين الفروع المختلفة المتنوعة

معكوس الصفر

خذ أية كمية محدودة كالواحد مثلاً ، ولنقسمه على $\frac{١}{٢}$ فخارج القسمة ٢ ، وإذا قُسم على $\frac{١}{٤}$ فخارج القسمة ٤ ، وإذا قسم على $\frac{١}{١٠٠}$ فالخارج ١٠٠ ، وإذا قسم على $\frac{١}{١٠٠٠}$ فالخارج ١٠٠٠ ، وهكذا كلما صَغُر المقسوم عليه زاد خارج القسمة وكبر ، حتى اذا ما كان أصغر من أية كمية موجبة (صفر) كان الجواب أكبر من أية كمية موجبة (كمية لانهائية) ، أى ان الواحد اذا قسّم على الصفر فالجواب كمية لانهائية ، أى $\frac{١}{٠}$ = كمية لانهائية ويُرمز لها بهذه العلامة ∞ ، ويمكن وضع المعنى السابق بهذه الكيفية :

$$\frac{\text{كمية محدودة}}{\text{الصفر}} = \infty$$

وكذلك اذا قسمنا الكمية المحدودة على كمية لانهائية فالجواب أصغر من أية كمية موجبة أى الصفر . من هنا يتبين أن العلاقة متينة بين الصفر واللانهاية ، فالصفر هو فى الحقيقة معكوس اللانهاية ومعكوس اللانهاية هو الصفر .

هذا إيضاح يفسر خاصة من خواص اللانهاية ، ويمكن وضع هذه الخاصة بالتعبير الآتى :

إذا قُسّمت أية كمية محدودة على الصفر فالخارج يساوى كمية لانهائية .

تعريف غريب

لندع هذه الخاصة ولنأخذ غيرها علنا منها نستطيع أن نضع تعريفاً لـ (اللانهاية) وعلنا بذلك نوفر على الراغب فى البحث عنها ، وفى الوقوف على معناها قراءة صفحات عديدة من كتب الرياضيات وفلسفتها .

خذ المتوالية العددية الآتية : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ . . . . الى عدد لانهائى من الحدود فمجموعها كما هو ظاهر كمية لانهائية .

خذ أيضاً المتوالية الهندسية الآتية وهى غير المجموعة الأولى :

٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ . . . . . الى عدد لانهائى من الحدود ، فمجموعها أيضاً يساوى كمية لانهائية ، ومن مراجعة المتواليتين يظهر ان كل حد من المتوالية الثانية موجود فى المتوالية الأولى ، أى ان المتوالية الثانية هى جزء من الأولى ، ومع ذلك فمجموع كل من المتواليتين يساوى كمية لانهائية ، ومن هنا ظهر تعريف اللانهاية بالشكل الآتى : « هى شىء كله مساو جزءه » ومن هنا يظهر أيضاً للقارئ السبب الذى اضطر بعض العلماء الى وضع مثل هذا التعريف الذى قد يبدو غريباً ومثيراً للدهشة وغير معقول

اللانهائى فى المحدود

ومن غرائب خاصيات « اللانهاية » التى نجدها فى البحوث الرياضية إنه قد يتفق (فى بعض الأحوال) أن يكون مجموع كميات عددها غير محدود لانهائى يساوى كمية محدودة . أليس

(البقية على صفحة ٩١٦)

القصص

صاحب الملايين الأعوذج

للأديب الانجليزى أوسكار وايلد

ترجمة الأستاذ بشير الشريقى

لا ينتفع المرء بجمال الشباب إلا مع الغنى ؛ البطالة عمل الغنى وليست شغل الفقير ؛ على الفقراء أن يكدوا فى طلب الرزق ؛ دخل ثابت خير لك من شبابك الفاتن ؛ تلك هى الحقيقة الواحدة فى هذا الجيل الحديث ، الحقيقة التى لم يدركها « هيوارسكين » .

مسكين هيو ! إنه ليس بالفتى صاحب الشأن أو الذى يضر وينفع ؛ ولكنه كان يبدو مثال الملاحة بشعره الأسمر الجعد . وعينيه الرماديتين ؛ ووجهه الجميل ، وكان مشهوراً بالحسن بين الرجال والنساء على السواء ، وبأنه يجمع كل الفضائل إلا فضيلة كسب المال ؛ خلف له والده وكان فارساً مقداماً حسامه وتاريخ حرب الجزيرة فى خمسة عشر مجلداً ، فعلق (هيو) الحسام على مرآته ، ووضع كتاب التاريخ على الرف . لقد طرق كل أبواب الرزق ، فاحترف الصرافة ستة أشهر ، ولكن ما الذى تفعله الفراشة بين الثيران والدببة ؟ واشتغل بتجارة الشاى لمدة أطول بقليل ، ولكن سرعان ما تعب : حينئذ جرب بيع الخمر الاسبانى . فلم ينجح ؛ وأخيراً أصبح لا شيء، اللهم إلا شاباً طروباً قد أعطى البطالة مقوده .

وعلى نية العمل المثمر أحب ؛ وكانت الفتاة التى أحبها تدعى « لورا ميرتون » وهى إبنة كولونيل متقاعد أضاع مزاجه ونظامه فى بلاد الهند . لقد عبدته « لورا » وكان هو على استعداد لأن يقبل شريط حذائها ؛ كانا أظرف عاشقين فى لندن ولا يملكان فلساً واحداً .

أحب الكولونيل (هيو) كثيراً ، ولكنه لم يكن يرغب أن يسمعه يتحدث عن أية خطبة ، وكان يقول له من حين الى حين : « تعال إلى يا ولدى ؛ حين تصبح مالكاً لعشرة آلاف جنيه عندها نفكر فى أمر خطوبتكما » فيتألم (هيو) ويذهب الى (لورا) ليجد بقربها العزاء .

فى صباح أحد الأيام خطر له — وهو فى طريقه الى متنزه « هولاندة » — أن يرى أحد أصدقائه العظام « ألن تريفور » وكان « ألن تريفور » رجلاً غريباً فظاً ؛ نمش الوجه أحمر الخدين خشن اللحية ؛ ولكنه كان رساماً ماهراً ، وفناناً اذا تناول قلم الرسم فهو الأستاذ الحقيقى والرسام العبقرى .

وكان هذا الفنان عظيم الميل « لهيو » فى الزمان الذى مضى ، عظيم التقدير لجماله ، وكثيراً ما كان يقول « على الفنان أن لا يصاحب إلا الظرفاء اللطفاء ؛ والذين يشجيك مسمعهم ومنظرهم » .

حين دخل « هيو » المحترف « الستوديو » وجد « تريفور » يضع الأجزاء الأخيرة لصورة شحاذ كبيرة ، ورأى الشحاذ نفسه واقفاً على منصة مرتفعة فى زاوية المحترف ، لقد كان شيخاً متهدماً ذا وجه كالجلد المجعد ، قد ألقى على كتفه عباءة خشنة كلها رقع وخرق ، ولبس حذاء رثاً بالياً ، واتكأ باحدى يديه على عصا غليظة ، ومد بالأخرى قبعته الممزقة يلتمس المعروف ! .

همس «هيو» وهو يصافح صديقه — ياله من انموذج غريب! فصاح « تريفور » بأعلى صوته — أنموذج غريب .. أظنه كذلك .. إنك لا تلتقى بأمثال هذا الشحاذ كل يوم .. إنه لقية يا عزيزى .

هيو — مسكين هذا الشيخ إنه يبدو مثال البؤس والشقاء وانى لأظن أن ثروته بالنسبة إليكم أيها الفنانون إنما هى فى وجهه

أجاب تريفور — طبعاً .. أنت لا تريد أن يبدو الشحاذ مسروراً

هيو — كم يأخذ الأنموذج عن كل جلسة .
— شلناً فى الساعة .
— وكم تأخذ أنت على صورتك يا « ألن »
— أوه . . آخذ على هذه ألفى جنيه .
هيو ضاحكاً — حسن ، ولكنى أرى أن يأخذ الأنموذج نسبة من الأرباح ، انهم يتعبون بقدر ما تتعبون .
— كلام هراء . . يجب ألا تضيع وقتى بمثل هذا السخف ، إننى مشغول جداً ، ، دخن سيجارة واجلس صامتاً .
وبعد حين دخل الخادم وأخبر « تريفور » أن صانع الأطر يريد أن يكلمه .
(تريفور) وهو خارج — لا تذهب يا«هيو» سأعود حالاً .
إغتنم الشحاذ الشيخ فرصة غياب « تريفور » فجلس يستريح على مقعد خشبى كان موضوعاً خلفه ، حقيراً بائساً ؛ حتى أن (هيو) لم يملك نفسه من الحزن عليه ، فمد يده الى جيبه ليرى مقدار ما معه من الدراهم ، فكان كل الذى وجده ديناراً وبضعة دوانق ، فقال لنفسه « مسكين الشيخ إنه أحوج منى الى هذه الدراهم » وسار وسط « الستوديو » ورمى الدينار فى يد الشحاذ .
فزع الشيخ وارتسمت على شفتيه الذابلتين ابتسامة ضئيلة وقال : أشكرك يا سيدى . . أشكرك . .
ثم حضر « تريفور » فاستأذنه « هيو » بالانصراف الى « لورا » حيث أمضى النهار وتمتع بتعنيف لذيذ على اسرافه .
وفى تلك الليلة ؛ حوالى الساعة الثانية عشرة ، ذهب الى نادى « باليت » فوجد «تريفور» جالساً وحيداً فى غرفة التدخين يعاقر بنت الحان ؛ فقال له وهو يشعل سيجارته .
— خيراً « ألن » . . هل أنهيت الصورة !
فأجاب تريفور — لقد انتهت ياولدى ، وأحيطت بالأطار ؛ وعلى ذكر الصورة أخبرك أنك حزت ظفراً عظيماً نهار الأمس ، إن ذلك الأنموذج الشيخ الذى رأيته معجب بك كل الاعجاب ولقد أخبرته عن كل ما يتعلق بك . . من أنت ؟ وأين تعيش ؟ وكم دخلك ! وما هى مطالبك من الدنيا ؟ . . .
صاح «هيو» — يا عزيزى ألن ، أخاف أن أجده فى انتظارى كلما ذهبت الى البيت ؛ ولكنك تهزل .. مسكين هذا الشيخ الفقير .

آه ! لو أقدر على نفعه .. إنه لشديد أن يعيش إنسان فى مثل بؤسه ؛ عندى فى البيت تلال من الثياب القديمة ، فهل تظن أنه يهتم بثوب منها ؟ ولم لا ؟ ان خرقه أخذ منها البلى مأخذه . .
تريفور — ولكنه يبدو فى أطماره زاهياً ، إن ما تسميه أنت اطماراً أسميه أنا حللاً ، وما يظهر لك انه الشقاء هو مثال البهاء عندى . . وعلى كل حال فسأخبره عن هديتك .
هيو جاداً — إنكم بلا قلب أيها الرسامون .
أجاب تريفور — قلب الفنان رأسه ، ليس الاصلاح صنعتنا وإنما تصوير العالم كما نراه ولكل صنعته . . والآن حدثنى عن « لورا » كيف هى ؟ لقد أغرم بها الأنموذج كثيراً .
هيو — أنت لا تريد أن تقول إنك حدثته عنها .
— أؤكد لك أننى حدثته ، لقد عرف كل شىء عن الكولونيل الذى لا يرق له قلب ، وعن « لورا » المحبوبة ؛ وعن العشرة آلاف جنيه .
فصاح هيو وقد بدا عظيم الغضب كثير الاحمرار — إذن لقد أطلعت ذلك الشيخ الشحاذ على كل شؤونى الخاصة .
تريفور مبتسماً — يا ولدى العزيز إن الذى تدعوه بالشيخ الشحاذ هو من أغنى الرجال فى أوربا ، إنه يقدر أن يبتاع لندن كلها غداً من غير أن يؤثر ذلك فى ثروته ؛ إن له قصراً فى كل عاصمة ؛ ويأكل فى أطباق من الذهب والفضة ؛ وهو قادر — حين يشاء — أن يمنع روسيا من الحرب .
هيو متعجباً — من هذا الذى تعنيه ؟ ! . .
تريفور — أقول إن الرجل الشيخ الذى رأيته فى «الستوديو» هو « البارون هوسبيرج » إنه من أعظم أصدقائى ، ويبتاع كل صورى ، وقد كلفنى منذ شهر أن أرسمه كشحاذ فما قولك بهوى هذا المليونير .
صاح هيو — البارون هوسبيرج يا إله السموات . لقد تصدقت عليه بجنيه ... وارتمى على المقعد مذعوراً . .
تريفور صائحاً — تصدقت عليه بجنيه ! ! وانفجر عن هدير من الضحك !
هيو بحزن — كان يجب أن تخبرنى يا ألن . . .

ألن — لا بأس يا هيو . . إنه لم يخطر لى على بال انك يمكن أن تذهب هذا المذهب فى توزيع الصدقات ؛ إننى أفهم تقبيلك لانموذج جميل ، اما أن تعطى ديناراً لقبيح فلست أفهمه !

هيو — وأى غبى ظننى ؟ ! .

— أبداً لقد كان فى غاية السرور بعد أن غادرتنا ، وظل يضحك فى سره ويصفق بيديه المتغضنتين مدة ؛ لم أستطع إدراك سر سروره حينذاك ؛ ورغبته فى معرفة كل شىء عنك ؛ أما الآن فقد فهمت كل شىء ؛ سوف يشغل لك دينارك يا هيو ويدفع لك الفائدة كل ستة أشهر .

زمجر هيو — يالى من شقى . الأحسن لى أن أذهب الى الفراش ، أرجوك يا عزيزى ألن ألا تخبر أحداً ؛ إننى لم أعد أجرؤ على لقاء الناس

كلام هراء . إن عملك يا هيو يدل على ما فى نفسك من الخير العظيم ، لا تذهب ، خذ سيجارة أخرى ؛ وتكلم عن لورا بقدر ما تشاء . .

لـكن « هيو » لم يقف بل سار الى البيت حزيناً ، تاركاً « ألن تريفور » غارقاً فى الضحك .

فى صباح اليوم الثانى وقد جلس « هيو » يتناول فطوره ، أحضر له الخادم بطاقة كتب عليها « السيد كوستاف نودن ، رسول البارون هاسبورج » .

فقال هيو لنفسه — يغلب على ظنى أنه آت يطلب إلى أن أعتذر ، ثم أمر الخادم أن يصعده ردهة الإستقبال . .

دخل الغرفة شيخ جليل ذو منظار ذهبى وشعر أشيب وقال بلهجة فرنسية : هل لى شرف الـكلام مع السيد (أورسكين) .

— فانحنى له هيو .

الشيخ مستمراً — لقد أتيت من عند البارون هاسبيرج ، ان البارون . . . .

هيو مقاطعاً — أرجوك يا سيدى أن تبلغه أصدق إعتذارى .

فابتسم الشيخ الجليل وقال — لقد أرسلنى البارون أسلمك هذا الـكتاب . ومد يده بمغلف مغلق قد كتب عليه « هدية عرس الى هيو أورسكين ولورا ميرتون من شحاذ عجوز » وفى داخله حوالة بعشرة آلاف جنيه

وحين اقترنا صار لهما ألن تريفور عجاهنا ، وألقى البارون خطاباً على مائدة العرس ؛

وأبدى « ألن » هذه الملحوظة « إن نماذج صاحب الملايين نادرة ، ولـكن أنموذج أصحاب الملايين أندر »

بشير الشريقى

شرق الأردن ٠ المحامى

* تعجهن الرجل : لزم العروس حتى يبنى عليها و ــ افلان صار له عجاهنا

اللانهاية

(بقية المنشور على صفحة ٩١٣)

فى هذا غرابة ؟ أليس فى هذا عجب ؟ قد لا يصدق القارئ ما نقول ولذا سنوضح معنى ما مر :

خذ العدد الـكسرى $\frac{١}{٣}$ وهو كمية محدودة ، ولنحوله الى كسر عشرى فينتج لدينا كسر دائرى ٣ ر٠ أى ٣٣٣٣٣٣٠٠٠٠٠٠و٠

وهـذه تساوى $\frac{٣}{١٠} + \frac{٣}{١٠٠} + \frac{٣}{١٠٠٠} + \frac{٣}{١٠٠٠٠} + ...$

وهذه الأخيرة تساوى $\frac{٣}{١٠}$ ($١ + \frac{١}{١٠} + \frac{١}{١٠٠} + \frac{١}{١٠٠٠} + ...$ الى حدود عددها لانهائى) ومن هنا يتبين ان مجموع كميات عددها لانهائى يساوى كمية محدودة

اللانهاية والعلم

والآن قد يتبادر الى ذهن القارئ أن يسأل ما علاقة العالم باللانهاية ؟ وهل اللانهاية حقيقة موجودة ؟ وهل يستطيع العقل البشرى تصور شىء لانهائى ؟ وجواباً على هذه الأسئلة نقول : ان العلم يقرر (أو يجب أن يقرر) وجود شىء لانهائى ، فالخط يتكون من نقط عددها غير محدود ولا نهائى ، والوقت يتكون من عدد غير محدود من اللحظات ، ويمكنك أن تقسم المستقيم الى أقسام لا عديد لها ، وأن تستمر فى ذلك الى ما شاء الله .

وقد ظهر للقارئ بجلاء كيف أن مجموع كميات عددها لانهائى يساوى كمية محدودة ، وقد لا يكون غريباً اذا قلت ان كثيراً من البحوث الرياضية العالية لا يمكن أن يحاط بها ، ولا أن تـكون كاملة إلا بـ (اللانهاية) ، وكم من الأعمال والمسائل الرياضية تحتاج الى استعمال اللانهاية إذ لا يمكن حلها إلا بها .

على كل أرجو أن أكون قد وفقت الى اعطاء فـكرة عن اللانهاية ، فان كان ذلك فهذا ما قصدت .

نابلس **قدرى حافظ طوقانه**

النقد

حول ديوان الينبوع

للدكتور احمد زكى أبى شادى

إنى آسف أشد الأسف اذا كان ردى السابق على الأديب المرتيني يصح أن يوصف بالحدة كما وصفه حضرته ، وما كنت أحسبه الا مثالا للهدوء المقترن بالصراحة . وقد كرر ناقدى الاديب قوله عن الأدباء المصريين : « واذاً أنا أعود فأردد مرة أخرى ، ما عرفت الدكتور واضرابه من اخواننا المصريين الا أباة على النقد . يثيرون من أجله المعارك ويتسارعون بسببه الى الخصام والنزاع » . وقد أغنانى الشاعر الناقد طلبة محمد عبده برده فى عدد مايو من مجلة (أپولو) عن الرد المسهب على الأديب المرتيني ، وحسبى هنا أن ألاحظ فى ايجاز نقطتـــين : الأولى أن كل حجة صاحبنا فى مؤاخذتى تقدمى الى الرد عليه فى أدب واعتدال ، كأنما الواجب على وعلى أمثالى الخضوع لديكتاتوريته النقدية ، فاذا ما ناقشناها فى هدوء مناقشة أدبية وصمنا بما وصمنا به ، والثانيـــة شهادة مجلة (الضياء) الهندية ، وقد وافتنى يوم صدور عدد (الرسالة) المنشورة به مقالة ناقدى ، ، فقد ذكرت (الضياء) — وهى من أرق المجلات الأدبية فى العالم العربى — فى كلامها على «الينبوع» وصاحبه وتشجيعه للنقد الأدبى أن تشجيعى هذا هو « جرأة نادرة » فى هذا الزمن .

إذن ليس هناك يا صاحبى أى حدة ولا تأب على النقد ، فأعداد (الرسالة) بين أيدى القراء ، كما أن (الينبوع) وغيره من دواوينى ومؤلفاتى بين أيديهم ، ويمكنهم أن يدرسوا ويقارنوا لأنفسهم بين كتابتى وكتابتك . وفى الحق لم يعرف عنى الا العداء للديكتاتورية الأدبية ، سواء أجاءت من ناحية المؤلفين أم من ناحية النقاد ، وقد شجعت وسأشجع دائماً النقاش الأدبى البرىء لأنه خادم وأى خادم للأدب ، ومتى تحقق الاحترام المتبادل بين المؤلفين والنقاد ، فلن يؤدى النقاش الأدبى بينهم إلا الى الخير الأدبى المحض. ولولا هذا الايمان فى نفسى بالنقد وفوائده لصدفت عن التعليق على ما يكتب عنى ، فجل شعرى لنفسي أولا لا للجمهور الذى تتحدث أنت عنه وتود أن تراعيه ، وأنا لا أتطلع الى مدح أو تصفيق لقاء جهودى ، وقد أصبحت لا أتطلع حتى الى محض الانصاف من معظم معاصرى

ومن كان لا يعنيه مدح ولا قلى   يعف عن المدح العريض ويستغنى

وقد تأملت الملاحظات الفنية الجديدة التى جاء بها ناقدى الفاضل فى مقاله الثانى فأسفت لأنه لم يذكرها فى مقاله الاول ، ولو كان قد فعل ذلك لما كنت رددت عليه : فقد كان فى مقاله الأول يلقى الأحكام كأنه القاضى الأعلى الذى لا مرد لحكمه ، وأما فى مقاله الثانى فهو ينزع الى التفسير النفسانى ويتحدث عن الذوق الفنى وما الى ذلك . ، وهو فى موقفه الجديد أمنع من أن يساءل أو يناقش ، اللهم الا فى تذكيرى إياه بأن قولى :

كن أنت نفسى واقترن بعواطفى   تجد المعيب لدى غير معيب

لا يعنى شيئاً مما ذكره ، وإنما يعنى أن الناقد الذى لا يستطيع أن يتمثل نفسية الشاعر وظروفه والعوامل المؤثرة عليه وقت نظمه هو أبعد الناس عن الانصاف ، لأنه سيعيب مالا يعاب لو أنه تمثل شخصية الشاعر فى المناسبة التى نظم فيها ذلك الشعر المنقود . وليس من الحكمة ولا من الانصاف فى شىء أن يتقدم الناقد الى أثر شعرى وهو نافر من صاحبه كيفما كانت أسباب ذلك النفور .

إن التحدث عن اللغة الفنية لا أول له ولا نهاية ، وقد نقد لغتى من نقدها ممن عرفوا بالتضلع فى اللغة والتمكن من الشعر ، وفى مقدمتهم السيد مصطفى جواد ، ولهؤلاء السادة مالهم من الذوق الشعرى الناضج . أليس هؤلاء إذن أولى من الأديب المرتيني

بالحكم فى هذا المجال ؟ وما معنى انتقاص معارفهم ومناحيهم ؟ أليسوا أجدر منه ومنى بتحديد ما يسميه باللغة الصحفية ؟ ليس لى ياصاحبى أن أزكى نفسى ، وإن كان لى أن أدافع عن مذهبى أحياناً ، وقد كتب فى تقدير روحى الفنية وتعابيرى الشعرية غير واحد من الأدباء المشهورين ، ومنهم من ناقشك ، فلك أن تناقشهم إذا شئت ، وأما أنا فلا أجد فيما كتبت من جديد سوى إبهام جديد ، إلا فى موضع أو موضعين ، وليس لى من رد على مثل هذا الانتقاص المبهم غير انتاجى الجديد . . .

لقد أعجبك قول امرئ القيس

مكر ، مفر ، مقبلٌ ، مدبرٌ ، معاً
كجلمودِ صخرٍ حطه السيلُ مِنْ علِ!

نظراً لما فيه من موسيقى وحركة وخيال ، ولا أعرف أن كل شعر امرئ القيس من هذا القبيل ، أو أن شعرى تجرد من مثل ذلك ، كما أنى لا أعرف أن مثل هذه الصفات التى شاقتك مرغوب فيها فى جميع ضروب الشعر ، ومنه ما قد تؤثر فيه موسيقى المعانى والهدوء والتأمل العميق قبل رنين الألفاظ والحركة والخيال الوثاب .

ولك أن تنتزع بيتاً أو بيتين من قصيدة ، وأن تقف حائراً مستنكراً ، ولكنى (وأنا المؤمن بوحدة القصيد والحريص على ذلك) لا أطلب شططاً اذا سألت قرائى أن يقرأوا تلك القصائد كاملةً ليتبينوا مواقع الأبيات بعضها من بعض وما تحمله من المعانى الظاهرة والضمنية اذا ما انتظمتها وحدة القصيد ، وهل لها حينئذ قيمة مادية وروحية أم ليست لها تلك القيمة .

وقد تفضل الأديب المرتينى ببيان طويل عن نظراته الأدبية العامة وأسلوبه فى النظم ونحو ذلك ، أشكره عليه لما حواه من الطرافة ودواعى التسلية التى يتحدث عنها . ولا أود أن أشغل فراغ (الرسالة) بالتعليق عليه فذلك أمر يعنيه ، وأود بهذه السطور أن أختم تعليقاتى على كتابته شاكراً (للرسالة) منبرها الحر وغيرتها ، وشاكراً لناقدى الفاضل تحمسه للفن وللغة العربية السامية .

احمد زكى ابو شادى

الكتب

مذكراتي في نصف قرن

بقلم الأستاذ أحمد شفيق باشا

(في ٥٢٧ صفحة كبيرة — طبع مطبعة مصر)

لم يجتمع لكثير من رجال الدولة المصرية مثلما اجتمع لصاحب السعادة الأستاذ أحمد شفيق باشا من ظروف المشاهدة وفرص الدرس والاطلاع والتحقيق؛ فقد عاصر هذا الشيخ النابه النشط عدة عصور ومراحل من تاريخ مصر الحديث؛ وشهد الحياة المصرية منذ أواخر عصر اسماعيل، واتصل بالقصر وشئون الدولة العليا منذ حداثته؛ وشهد حوادث الثورة العرابية وتتبعها بدقة، وكان مرجع النفوذ والحول طوال أيام عباس. ولم يكن شفيق باشا يطوى هذه المراحل والعصور مشاهداً فقط، ولكنه كان يقرن المشاهدة بالدرس والتدوين؛ فكان يدون مذكراته تباعاً عن الحوادث والشئون الخطيرة التي كانت تترى في هذه الحقبة من تاريخ مصر، ويدون الى جانبها كثيراً من الملحوظات عن تطور الحياة المصرية الاجتماعية، ثم عن حياته الخاصة التي كانت صدى ومثالاً صادقاً لهذه الحياة.

وقد أخرج لنا الأستاذ شفيق باشا الجزء الأول من هذه المذكرات في مجلد ضخم؛ يتناول وصف الحوادث والحياة المصرية منذ أواخر عهد اسماعيل حتى عزله، ثم عهد توفيق والثورة العرابية وأسبابها ونتائجها حتى استقرار الاحتلال الانكليزي. وهذا هو القسم التاريخي العام. ويتناول القسم الثاني منه حياة المؤلف الخاصة أثناء دراسته في باريس، ومشاهداته العامة في فرنسا ومختلف البلاد الأوربية التي زارها.

ولعله لم يصدر عن الحياة المصرية في أواخر القرن وصف أصدق ولا أمتع من ذلك الذي يتحفنا به شفيق باشا في مذكراته. فقد تقلب شفيق باشا منذ حداثته في مختلف البيئات والمجتمعات المصرية لهذا العهد، واتصل بالطبقات الاجتماعية الرفيعة اتصالاً وثيقاً؛ وشهد بعينه من صورها وألوانها الشيء الكثير؛ ووصف لنا جدها وهزلها ولهوها وسمرها وصفاً صادقاً شائقاً؛ ويجد مؤرخ الحضارة المصرية في هذا العصر في مذكرات شفيق باشا مادة نفيسة تؤيدها المشاهدة الصادقة. وهذه ناحية من الكتاب لها أهميتها وسحرها.

بيد أن لهذه المذكرات من الوجهة التاريخية ناحية أهم. ذلك أن المؤلف يقص علينا سيرة الحوادث السياسية الخطيرة التي وقعت في عهد توفيق، أعني الثورة العرابية وما انتهت إليه من النتائج المشئومة. وقد كتب تاريخ الثورة العرابية وما إليها في العصر الأخير غير مرة، وصدرت عنها مذكرات كثيرة مصرية وأجنبية، ولكن شفيق باشا ينفرد بمعالجة ناحية لم تعالج من قبل بمثل ما عالجها به من الافاضة والدقة، ولم يكن ليستطيع معالجتها غير شفيق باشا نفسه. ذلك هو موقف القصر ووجهة نظره وحقيقة تصرفاته إزاء تلك الحوادث العصيبة. وقد كان شفيق باشا يومئذ من موظفي القصر، ومن الرجال الذين يضع فيهم الخديو ثقته؛ وكان بذلك في مركز يستطيع أن ينفذ منه الى بواطن الأمور وحقائقها وأن يعرف حق المعرفة ما يقع في القصر وما يدبر فيه وما يقال نحو الحوادث وتطوراتها، وأن يقف على وثائق لا يقف عليها غير رجال القصر الأخصاء؛ وهذه الناحية تبدو واضحة قوية في رواية شفيق باشا عن الثورة العرابية، وتلقى الضياء على مسائل وشئون كثيرة في تاريخ الثورة لم نقف عليها من قبل بمثل ذلك الوضوح. وهذه الميزة وحدها تجعل لمذكرات شفيق باشا قيمة كبيرة؛ هذا الى ما يتخلل ذلك كله من النبذ الاجتماعية والأدبية التي تمثل روح العصر وأحواله أصدق تمثيل.

فنهنئ الباشا بمجهوده القيم، ونرجو الله أن يمتعه بالصحة والعافية حتى يخرج لنا ما تبقى في جعبته من ذلك التراث القومي النفيس؟

«ع»

حياة وحياة

بقلم الدكتور محمد كامل الصبى
دكتوراه فى العلوم الطبيعية

كتاب يقع فى نيف ومائتى صفحة ، أخرجته جماعة نشر الثقافة بالأسكندرية على خير ماتخرج الكتب ، دقة طبع ، وحسن نظام ، ومتانة ورق ، وسلامة ذوق .

ولقدشاءالدكتورالفاضل ألا تقف جهوده عند العلم فرأيناه فى هذا الكتاب أديباً ، بل قصاصاً عذب الروح، واسع المعارف، متين الثقافة

تلمس فى هذا الكتاب النهوض ، وتعجبك فيه رغبة فنية لنفس متوثبة ، تحتقر تقاليد الماضى البالية ، وتتألم لما يرزح تحته المجتمع المصرى من أعباء وما يعترفيه من قيود ، وتتمنى أن ترى ذلك اليوم الذى تنفض فيه مصر عن نفسها غبار القرون وتحطم أغلال الجمود ، ومن منا لايشارك الدكتور عواطفه وآماله؟

ولقد وفق المؤلف الى وسيلة جيدة لعرض آرائه فصور لنا أولاً الحياة المصرية فى القرية ، حياة الملاك القادرين والعمال المستضعفين من صغار المزارعين ، حياة العتو والاستبداد ، والمسكنة والذلة والجهل ، ثم أرانا طرفاً من حياتنا المدرسية وما يكتنفها من آلام ومعايب مما شاهده وخبره بنفسه ، فالقصة تدور حوله هو وحول حياته فى مصر ثم فى انجلترا ، وهنالك فى انجلترا ، وصف لنا الكاتب حياة ذلك المجتمع الزاخر فى صدق لهجة ودقة ملاحظة ، دون أن تميل به عاطفة الوطنية الى التحيز ، بل إن هذه العاطفة كانت تحدوه الى المقارنة بين حال وطنه وحال ذلك المجتمع فى حماسة وصراحة وإخلاص وغيرة

ولقد قام برحلة فى عطلته الجامعية الى هولنده وألمانيا ، ولم يفته هناك أيضاً أن يتعرض لمعايبنا الاجتماعية على ضوء ما صادف هناك من رقى عام قوامه الثقافة الفياضة والتضحية الخالصة ، وفناء الفرد فى المجموع ، مما نتحرق ظمأ اليه فى مجتمعنا ولم يقف فى كتابه عند النقد فحسب ، بل

لقد تعرض لكثير من ضروب الاصلاح ، وأورد بعض اقتراحات جالت فى ذهنه تشهد برجاحة عقله وصدق نظره

بيد أنى أعيب عليه أنه يرى كل ماعندنا شراً ، ولعل طموحه وتوثبه وشوقه الزائد الى تغيير الحال وشدة اخلاصه هو الذى يملى عليه هذه الصرامة حين يشكو أو ينتقد ، والحقيقة أنى قد شاركته رأيه فى جملة مسائل

أحب الكاتب فتاة فى الجامعة ، وتعرف الى فتاتين غيرها ، فرأى إحداهما تضحى بشهرتها فى سبيل الواجب فتقلع عن القيام برحلة جوية إلى استراليا لتسهر الى جانب سرير أمها المريضة . ورأى الثانية ترفض خطبة حبيب لها لتعول أهلها ، فأكبر هذه الأخلاق ، ثم لم يشأ أن يكون أقل منها نبلا ، فضحى بحبه فى سبيل عاطفته الوطنية ، ولم يشأ أن يتزوج من فتاة تخالفه فى طبيعته وآماله ، وعاد الى وطنه مسرعا . وكانت تلك هى خاتمة القصة ، وكم نود لو نظفر بمثل هذا الخلق وبمثل هذا الروح ، وبمثل هذا النشاط الأدبى ممن يعودون الى أوطانهم من شبابنا الناهض ؟

محمود الخفيف